الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

Centre Universitaire Abdelhafid Boussouf Mila

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد: الآداب واللغات **المرجع: .....**

قسم: اللغة والأدب العربي

ظاهرة الشوق في شعرالسجون

"هدبة بن الخشرم" –أنموذجا–

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

التخصص: الدراسات الأدبية **الشعبة: أدب عربي قديم**

إعداد الطالبة: **إشراف الدكتور:**

غنية بن خدة. **طارق زيناي**

السنة الجامعية: 2019/2018

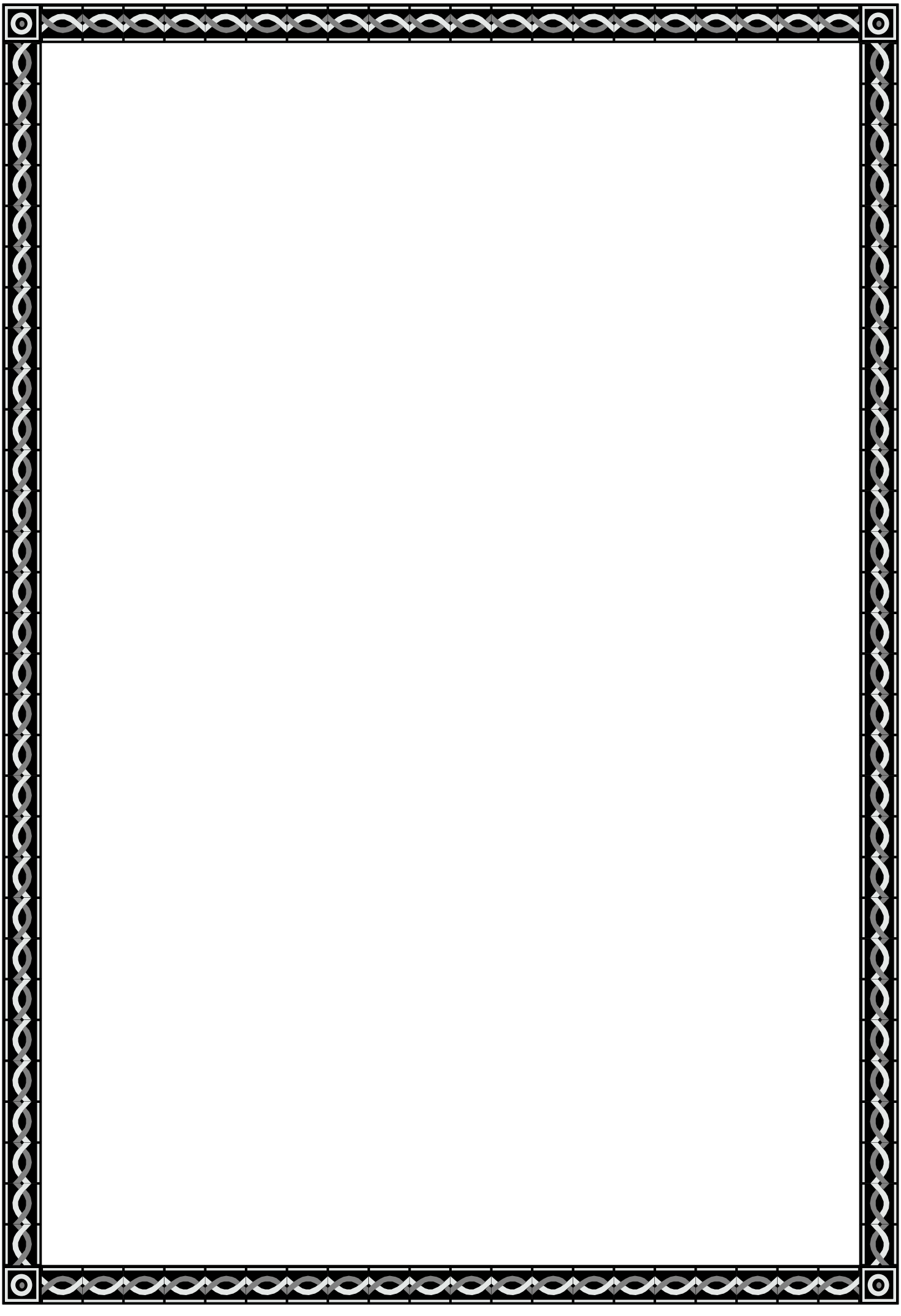

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله والصلاة والسلام على
من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه
وكل من اقتفى أثره أما بعد:

أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى:

الأستاذ الدكتور "طارق زيناي" الذي شرفني
بإشرافه على هذه الدراسة وتابع مراحل بحثي
وأكسبني فكرا ومنهاجا فله مني جزيل الشكر
والعرفان

كما نتقدم إلى كل من حثنا على مواصلة البحث
رغم الصعوبات التي واجهتنا خاصة أساتذة معهد
الآداب واللغات فلهم منا خالص الشكر والإمتنان

كما يملي علي واجب العرفان بالجميل والوفاء
أن أتقدم بالشكر لكل يد كريمة أمدتنا بالعون
وكل من ساهم من قريب أو بعيد لدفع معنوياتنا

وكل من لم يبخل علينا بالنصيحة والتوجيه.

إهداء:

إلى روح أختي الطاهرة "مليكة"
تغمدها الله بواسع رحمته ومغفرته

إلى كل من علمني حرفا

إلى من يحبها قلبي وتعشقها روحي "أمي الغالية"

إلى إخوتي "صالح، مصطفى، علي، سليم وحنان"

إلى كل الأحبة "بشرى، مريم، وداد، كريمة، مريم، سارة"

إلى صديقتي ورفيقة دربي "غنية"

إلى كل الأصدقاء الأعزاء لمن أرادوا أن نذكرهم ولو بكلمة عسى أن يبقيهم الله في القلب أجمل هدية

إلى كل من نسيه قلمي وتذكره قلبي

غنية بن خدة

مـقـد مـة

مقدمة:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

لا يمكن تصور تجربة السجن، دون أن نضع نصب أعيننا قيمة الحرية وما تعنيه عندالبدوي هدبة بن الخشرم الذي تحرر من قيود الزمان والمكان.فمن أصعب اللحضات في حياة الإنسان هي تلك التجارب الناقلة لبذور الذل والمهانة ومرارة فقدان الحرية، فحينما يستشعر المرء قسوة الحرمان وهو يوضع خلف قضبان تسلبه إرادته وحريته. وكثيرا ما كانت هته القضبان مركزا للعديد من الإبداعات الشعرية التي شهد لها التاريخ وحفلت بها أسفار الأدب والنقد. من هنا جاء حديثنا عن ظاهرة الشوق وهو نتاج عاطفة صادقة وأحاسيس حزينة تعاني لوعة الفراق، إن موضوع هذا البحث هو ظاهرة "الشوق في شعر السجون هدبة بن الخشرم أنموذجا"، فشعر السجون هو ذلك الإبداع المكتوب من وراء جدران السجن، فهو كلام نابع من صميم زنازين مغلقة، تحاكي عذابات حقيقية وصور حية وواقعية للمعاناة التي يعيشها الشاعر الأسير، فلم يجد أنيسا له غير قلمه، فشعر السجون هو الشعر الذي استطاع الولوج إلى الدهاليز الخفية للسجن وتصوير نفسية الشاعر المسجون الذي فاضت قريحته وثارت على الظلم والجور ورفضت كل صور الذل والإهانة ومن أهم الصفات التي تعتري الشاعر المسجون كثيرة ومتنوعة منها الحزن والفرح والغضب والشوق والحنين وغير ذلك من الصفات الأخرى.

ولكن دواعي السجن وظروفه تختلف من سجن إلى آخر كل حسب الموقف الذي يتخذه، ومن سجين إلى آخر كل حسب قوة وقدرة تحمله.

لقد تعددت أسباب إختيار هذا الموضوع ولعل من اهمها:

1. الرغبة في دراسة هذا الفن الذي ولد في رحم السجون وخلف الجدران.

2. التعرف والإطلاع على بعض الشعراء المساجين الذي لم يلتفت إليها لدراستها ودراسة اشعارها كهدبة بن الخشرم العذري.

أما عن الإشكاليات فقد تبادرت إلي مجموعة من التساؤلات التي تدور حول الموضوع فجاءت كالتالي: مامفهوم شعر السجون وماهي مراحل تطوره عبر العصور الأدبية؟ وكيف أثر السجن في الكتابات الشعرية التي نظمت خلف القضبان؟ وما مدى تجلي ظاهرة الشوق في شعر الشاعر هدبة بن الخشرم؟

فجاءت هذه الدراسة للإجابة عن التساؤلات السابقة ولإزالة الغموض عن فن طالما أحسب أننا بحاجة إلى معرفته ولو من باب الإطلاع.

لقد اعتمدنا في بحثناعلى عدة مناهج متكاملة كان أولها المنهج التاريخي والذي ناسب كثيرا المدخل لما فيه من دراسة تاريخية لشعر السجون، كما ناسب بحثنا أيضا المنهج الوصفي، بالإضافة إلى المنهج الفني وبعض آليات المنهج النفسي التي ساعدتنا على فهم وتحليل نفسية الشاعر المضطربة.

لقد اقتضت خطة البحث أن تشتمل المذكرة على مقدمة، ومدخل اشتمل على تعريف ظاهرة الشوق وشعر السجون ونبذة عن حياة الشاعر الأسير، ثم الفصل الأول والذي عنونته موضوعات شعر السجون، أما الفصل الثاني عرضت فيه لأثر الغزل العذري في ظاهرة الشوق عند الشاعر وتطرقت فيه لجانبين، جانب المفردات وجانب الأساليب، وفي الفصل الأخير الموسوم: تجليات ظاهرة الشوق في شعر هدبة بن الخشرم، خصص لدراسة شوق الزوجة لزوجها الأسير، ثم توجت هذا البحث بخاتمة تطرقت فيها إلى أهم الملاحظات والنتائج المتوصل إليها متبوعة بقائمة من المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

وأعانتني بعض المصادر والمراجع في هذه الدراسة كان أولها ديوان هدبة بن الخشرم العذري، تحقيق يحيى الجبوري، بالإضافة إلى كتاب شعر السجون في الأدب الحديث والمعاصر للدكتور سالم معوش، وكتاب السجون وأثرها في الآداب العربية–من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي–لواضح عبد الصمد.

ولأنه لا يخلو أي بحث من صعوبات تعترض طريق أي باحث، فلقد صادفتناونحن نبحث عقبات جمة على سبيل المثال صعوبة جمع المادة المتناثرة في أمهات الكتب وبطون المراجع، إلا أن هذا لم يكن بالحاجز في إنجاز هذا البحث الذي أرجو أن أكون قد وفقت في دراسته.

ولا بد من وقفة أتقدم فيها بالشكر الجزيل والإمتنان العظيم إلى الأستاذ المشرف "زيناي طارق" الذي كان نعم المؤطر، بتوجيهاته ونصائحه، التي كان لها فضل عظيم على تعميق معرفتي بشعر السجون وبهذا الشاعر الأسير "هدبة بن الخشرم" الذي لم تسعفنا المصادر على ترجمة حياة الشاعر، كل ماوصلنا خصومته مع ابن عمه زيادة.

وفي الختام نقول: مادراستنا هذه إلا دراسة متواضعة لا ترقى إلى مستوى الكمال، إذ الكمال لله وحده، لكن أسأل الله أن أكون قد وفقت فيه، وأن أكون إلى الصواب أقرب وعن الخطأ أبعد.

مـد خل

مدخل نظري: تحديد المصطلحات والمفاهيم

تمهيد

أولا –تعريف الظاهرة

1) الظاهرة لغة واصطلاحا

ثانيا–مفهوم الشوق لغة واصطلاحا

1) لغة

2) اصطلاحا

ثالثا–مفهوم السجن

1) لغة

2) اصطلاحا

- **مفهوم شعر السجون**

رابعا– حياة هدبة بن خشرم وشعره

1) اسمه ونسبه

2) الخصومة بينه وبين زيادة

3) وفاته

4) موضوعاته (مستمدة من ديوانه)

أ) الغزل

ب) الهجاء

ج) الفخر

د) الحكمة

هـ) الشيب

و) الوصف

5) شاعريته

تمهيد:

يعدّ السجن وسيلة من وسائل الدول لحماية المجتمع من مخاطر العنف والجريمة التي يرتكبها المجرمون، كما أنها وسيلة فاعلة لعقاب المجرمين عن افعالهم المشينة في حق المجتمع، وكذلك دورها الإصلاحي لتهذيب سلوك نفوس المسجونين وأحيانا أخرى تكون وسيلة للتعذيب كنفيهم خارج بلادهم إلى أماكن مهجورة ونائية واحتجازهم وحجز الكثير من حرياتهم.

فشعر السجون يتناول موضوعات تمتاز بالعاطفة والأحاسيس الحزينة فهو تجربة شعرية خاضها الشاعر ليعبر بها عن شعوره بالفقد والإحساس بالإغتراب، فالشاعر في سجنه يحس نفسه غريبا عن كل شيء، عن وطنه وعن أحبائه، وهذا ماجعل الشاعر دائم الشوق والحنين لأنه شعر مرتبط بتجربته الذاتية النابعة من صدق مشاعره أو عاطفته الصادقة.

وبما أن دراستنا ستتناول موضوع "ظاهرة الشوق في شعر السجون" فلا مناص من التطرق إلى تعاريف وتحديد معالم المصطلحات وحدودها.

أولا–تعريف الظاهرة:

1) الظاهرة لغة واصطلاحا:

ورد في المعجم الأدبي عن التعريف اللغوي للفظة الظاهرة (Phénomène) "بأنها واقعة أو حادثة يمكن ملاحظتها داخليا أو خارجيا في مقابل: مفهوم أي شيْء في ذاته كما يبدو للعقل المحض في الفلسفة الكانطية"[1].

أما في المعجم الوسيط " فالظاهرة من ظَهَرَ الشيء ظُهُورًا تَبَيَّنَ وبَرَزَ بعد خفاء. وفي الفلسفة مايبدو من الشيء في مقابل ماهو عليه في ذاته. وجمعها ظواهر والظاهر من أسماء الله الحسنى.

[1] – جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين ط1، بيروت–لبنان، 1979م، ص 167.

الظاهرة من الأرض وغيرها. المشرفة وظاهرة الرجل: عشيرته. والأمر ينجم بين الناس يقال: بدت ظاهرة الإهتمام بالصناعة" [1].

وفي الإستخدام العام، الظاهرة كثيرا ما تشير إلى حدث غير عادي، أما في الإستخدام العلمي فالظاهرة هي حدث يمكن ملاحظته ومراقبته ورصده، وقد تتطلب أجهزة معينة للمراقبة.

إذن "فالظاهرة حادثة يمكن ملاحظتها في الأدب أو الفن، فتحدد سماته ومفهومه، وكل ما يدرك بالحواس والتجارب، فالشعور بالغربة والتبرم من الوحدة ظاهرة عرفت في الأدب المهجري"[2].

أما في المنجد في اللغة فنجد ظاهرة " من الظاهر: البادي لك، ويقال حاجته عند ظاهرة، أي مطرحة"[3].

وفي مقياس اللغة: " ظَهَرَ الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوة وبروز من ذلك: ظَهَرَ الشيء يَظْهَرُ ظُهورًا، فهو ظاهر، إذ انكشف وبرز.

والظاهرة: العين الجاحظة"[4].

كما وردت ظاهرة في معجم اللغة العربية المعاصرة: " ظَهَرَ، يَظْهَرُ، ظُهورًا، فهو ظاهر. وظهر الشيء: بدا واتضح بعد خفاء، تبين وجوده ظاهر: اسم فاعل من ظهر.

ظاهرة مفردة: ج ظاهرات وظواهر:

1. صيغة المؤنث لفاعل ظهر اظهر عن ظاهرة الجبل: أعلاه عين ظاهرة: جاحظة.

---

[1] –المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مادة[ظهر]، مكتبةالشروق الدولية، ط 4، 1425هـ /2004 م، ص 578.

[2] – محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج1، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت – لبنان، 1419هـ/1999 م، ص610.

[3] – علي بن الحسن الهنائي الأزدري (أبو الحسن)، المنجد في اللغة، تح: أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، ج1، عالم الكتب، ط2، القاهرة – مصر، 1988م، ص 256.

[4] – ابن فارس (أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا)، مقاييس اللغة، ج4، تح: عبد السلام محمد هارون، مادة[ظهر]: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،1939 هـ /1979 م، ص 471.

2. (سف): مايمكن إدراكه أو الشعور به ومايعرف عن طريق الملاحظة والتجربة "درس أسباب الظاهرة وأحاط بها معرفة وتحليلا".
3. (كم): حقيقة أو حادث غير عادي أو نادر يمكن وصفه وإيضاحه على أساس علمي.
4. (مع): أمر ينجم بين الناس ويعم "ظاهرة الإدمان/ التدخين، ظاهرة الشعر الحر.

هناك عدة ظواهر منها:

- الخلقية: القواعد الخلقية التي تسود كل شعب في حقبة معينة من الزمن وعلى أساسها تصدر المحاكم أحكامها ويظهر الرأي العام سخطه أو رضاه.
- ظواهر المرض: أعراضه
- الظاهرة السطحية(فن) ظاهرة تناوب التيار الكهربائي لكي يتدفق بالقرب من سطح المادة الموصلة للكهرباء.
- الظاهرة الجوية:

(فك) ما يطرأ من أحوال الطبيعة كالحرارة والبرودة وهبوب الرياح"[1].

يتضح مما سبق أن مادة "ظهر" تجمع أكثر من معنى فهي تأتي بمعنى الكشف والبروز ومعنى الإيضاح على أساس علمي، وكذلك تأخذ معنى يشير إلى حدث نام وغير عادي.

ثانيا–مفهوم الشوق لغة واصطلاحا:

1) لغة:

يقول ابن فارس: "الشين والواو والقاف يدل على تعلق الشيء بالشيء، يقال: شُقْتُ الطُّنُتِ، أي الوتد واسم ذلك الخيط الشياق. والشوق مثل النّوط. ثم اشتق من ذلك الشَوْقُ، وهو نزاع النفس إلى الشيء. ويقال شاقني يشُوقُني، وذلك لا يكون إلا عن علق حب"[2].

---

[1] – أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج 1، مادة [ظهر]، عالم الكتب، ط1، القاهرة 2008م، ص1443.

[2] – ابن فارس، مقاييس اللغة، مرجع سبق ذكره، مادة [شوق]، ج3، ص 229.

ويقول الجرجاني في كتابه التعريفات: "الشوق: نزاع القلب إلى لقاء المحبوب"[1].

ورد مفهوم الشوق في معجم اللغة العربية المعاصرة بمعنى " شاق، يشوق، شق، شوقا. فهو شائق والمفعول مشوق".

- شاقه الحب: هاجه وحرك نفسه " شاقته رؤية الحبيب".
- شاق إلى رفيقه في السفر: نزعت إليه نفسه وتعلق به قلبه
- اشتاق لوطنه: نزعت نفسه إليه ورغبت فيه صبا إليه " اشتاق إلى رؤية أهله"
- شوقه ألى الرواية: رغبه فيها، أثار لهفته إليها.

شوق مفرد: ج أشواق (لغير المصدر):

1. مصدر شاق، شاق إلى، شاق لـ.
2. نزوع النفس إلى الشيء أو تعلقها به، لهفة لرؤية المحبوب "بلغت مني الأشواق لواعج الشوق لا يعرف الشوق إلا من يكابده، ولا الصبابة إلا من يعانيها"[2].

وقيل جاء في معجم الرائد: "الحنين من حنا

يحن، حنينا، أي اشتاق إليه وكذلك هو الصوت حزنا أو فرحا وهو صوت الناقةعنداشتياقهاإلى ولدها" [3].

ويقال: "حن قلبي إليه نزع واشتاق من غير صوت. والحنين هو الشوق وتوقان النفس. والحنين والشوق وتوقان النفس، والمعنيان متقاربان"[4] "وحنت الإبل نزعت إلى أوطانها أو أولادها.

---

[1] – الجرجاني (علي بن محمد بن علي الشريف الحسيني)، التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، مادة [شوق]، دار الفضيلة(د.ط) مصر، 1324هـ، ص110.

[2] – أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، مادة [شوق]، ص ص 1248–1249.

[3] – جبران مسعود، الرائد، دار العلم للملايين، ط3، بيروت–لبنان، 2005م، ص360.

[4] – كنزة زرماط، الحنين في شعر أحمد شوقي قصيدة غربة وحنين–أنموذجا–ماستر–أدب حديث، سلاف بوحلابيس، جامعة العربي بن مهيدي –أم البواقي، 2017/2010م، ص28.

والحنون من الرياح التي لها حنين كحنين الإبل، أي صوت يشبه صوتها عند الحنين"[1]. كما نجد من مرادفات الشوق الحنين

ورد في المعجم الأدبي: "حنين nostalgie"

أ) "لغة: شوق وتوق

ب) حزن وو ذبول يغشيان عددا من الناس في حالة ابتعادهم عن الوطن، ويفجران في نفس الشاعر أو الفنان إنتاجا وجدانيا رهيفا، كما يتجلى ذلك في شعر المهجريين.

ت) توسعا: توق إلى أمر، أو مثل أعلى غامض الملامح يبرز في النفس الحساسة فيبعث فيها ألما لعجزها عن تحقيق امنيتها. وينجم هذا الشعور إعتقاد بأن بلوغ الغايه لايتأنى إلا في مجتمع فاضل، أو عالم آخر. وبرز هذا النوع من التوق الماورائي في كثير من آثار الفنانين وبخاصة لدى الرومانسيين"[2].

- أما معنى الشوق في المعجم الوسيط فنجده كالتالي: "شاق إليه شوقا: نزعت نفسه إليه.
  - شوقه إليه: رغبه فيه وحببه إليه
  - اشتاقه وإليه: رغبت نفسه إليه
  - تشوق إلى الشيء: اشتد شوقه إليه
  - الشائق: المشتاق وما يشوق الانسان بجماله وحسنه .
  - الشوق: نزوع النفس إلى الشيء، أو تعلقها به، (ج): أشواق"[3].

من ذلك يتضح لنا أن الشوق هو الحنين والتوق، "وهو نزوع النفس إلى الشيء حبا وتعلقا، وهو نتاج عاطفة صادقة وأحاسيس حزينة مصدرها الذات الإنسانية.

---

[1] – كنزة رماط الحنين في شعر احمد شوقي قصيدة غربة وحنين، مرجع سبق ذكره، ص ن

[2] – جبور عبد النور، المعجم الأدبي، مرجع سبق ذكره، ص100.

[3] – المعجم الوسيط، مرجع سبق ذكره، ص500.

2) اصطلاحا:

وأما الشوق: فهو سفر القلب إلى المحبوب وقد وقع هذا الاسم في السنة كما ورد في القرآن في قوله تعالى" مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ الله فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ "[1].

قال بعض العارفين: لما علم الله شوق المحبين إلى لقائه، ضرب لهم موعد اللقاء تسكن به قلوبهم. فلفظة الشوق من أسماء الحب.

واختلف في الفرق بين "الشوق والاشتياق: أيهما أقوى، ويمكن حصر أبعاد هذا الاختلاف بثلاثة فرقاء:

❖ فريق أول:

يرى أن الشوق أقوى، لأنه صفة لازمة، أما الاشتياق فيه نوع افتعال.

❖ فريق ثاني:

والذي يرى أن الاشتياق أقوى من الشوق لكثرة حروفه، ودليلهم في ذلك أنه كلما قوى المعنى وزاد زادوا حروفه.

❖ فريق ثالث:

وقف موقف وسط بين الفريقين فحكم بين القولين، ورأيهم في ذلك أن الاشتياق يكون إلى الغائب، أما الشوق فيكون للحاضر والغائب معا. وعليه نستطيع القول أن الشوق داعية الاشتياق ومبدؤه"[2].

إلا أن الاختلاف اشتد بين أرباب الشوق عندما "تساؤلوا في إمكانية زوال الشوق بالوصال أو يزيد فانقسموا إلى ثلاثة طوائف:

- الطائفة الأولى:

---

[1] – سورة العنكبوت، الآية 5.

[2] – ابن القيم الجوزية (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تج: محمد بن عزيز شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط1، 1431هـ، ص ص48-49.

تقول بأن الشوق سفر القلب إلى المحبوب، فإذا وصل إليه انتهى السفر.

- الطائفة الثانية:

الشوق يكون للغائب، فلا معنى له مع الحضور، ولهذا يقال للغائب: أنا إليك مشتاق.

- الطائفة الثالثة:

تقول بأن الشوق يزيد بالقرب واللقاء، لأن الشوق هو حرقة المحبة والتهاب نارها في قلب المحب، وذلك مما يزيد القرب والمواصلة"[1].

ونجد كذلك ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء يقول: "وللشعر دواع تحث البطيء وتبعث المتكلف، منها الطمع، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب"[2].

وذكر أن القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن... فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق، ليميل نحوه القلوب.

فمن خلال ما سبق يتضح لنا أن الشوق هو لوعة المحب لفراق محبوبه والمعاناة التي تنجر إزاء بعدهم عن بعضهم، وعليه فالشوق الحادث عند اللقاء والمواصلة غير النوع الذي كان عند الغيبة عن المحب، فالشوق للغائب قد يصبح مميتا لأنك دائم التفكير به فهو يشغل بالك ليلا ونهارا فتحس نفسك كأن روحك انقسمت إلى قسمين وأنها تنتظرك في مكان آخر.

ثالثا-مفهوم السجن:

تأخذنا كلمة السجن إلى مايشبه العزلة والإبتعاد عن الناس وفيمايلي سنورد بعض المفاهيم التي شرحتها.

---

[1] - المرجع السابق، ص ص50-51.

[2] - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح وشرح: أحمد بن شاكر، دار المعارف - 1119 كورنيش النيل-القاهرة-مصر، 1377هـ/1958م، ص 78.

1) لغة:

وردت كلمة السجن في لسان العرب "بمعنى الحبس والسَّجن بالفتح: المصدر في بعض القراءة"[1] «قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ» سورة يوسف 33.

وجاء مادة س.ج.ن في المعاجم العربية بمشتقاتها المختلفة ودلالاتها المتعددة فهناك من قرن السجن بالحبس."السين والجيم والنون أصل واحد يؤدي معنى الحبس وهو الموضع الذي يحبس فيه الإنسان"[(2)]. "والسجن بالكسر المحبس والسجن البيت الذي يحبس فيه السجين"[(3)].

أما في المعجم الوسيط: "سجنه سجنا: حبسه، فهو مسجون وسجين.(ج) سجناء وسجنى. وفي الحديث ليس شيء أحق بطول سجن من لسان". وسجن الهم: لم يظهره ولم ينشره.

والسِّجِّين: السجن واد في جهنم. كما ذهب ابن سيده في محكمه إلى أن سِجِّين واد في جهنم. وعده الخليل بن أحمد الفراهيدي من أسماء جهنم"[(4)].

فكلمات السجن والحبس تدل في معناها العام على القيد والخضوع وفقدان الحرية بكل أشكالها فهي تحمل دلالة سلب الحرية وسلب العيش بطلاقة.

2) اصطلاحا:

وردت الإشارة إليها بداية في القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْه»[(5)] سورة يوسف 33.

---

[1] – ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم)، لسان العرب، مادة[سجن]، ج2، دار صادر، ط1، بيروت–لبنان، (د.ت)، 1990م، ص103.

[2] – ابن فارس، مقاييس اللغة، مرجع سبق ذكره، مادة[سجن]، ط1، مج3، ص137

[3] – ابن منظور، لسان العرب، مادة [حبس]، مج4، مرجع سبق ذكره، ص203.

[4] – المعجم الوسيط، مرجع سبق ذكره، ص418.

[5]– سورة يوسف، الآية 33

فالسجن كما عرفه المشرع في قانون العقوبات "هو وضع المحكوم عليه في أحد السجون العمومية وتشغيله داخل السجن أو خارجه في الأعمال التي تعينها الحكومة المدة المحكوم بها عليه. وعقوبة السجن عقوبة جنايات أو هو مؤسسة عقابية تهدف إلى ردع المذنب عن عمله أو إنزال العقوبة به وحجزه بغية تأديبه"[1].

والسجن هو مدرسة الإصلاح والإنتاج الماديين، أو هو مدرسة تأديبية تحيل الدولة إليها بعض الخارجين عن القانون أو المتمردين على سلطانها وحكمها.

لقد تعددت المفاهيم التي تطرقت لموضوع السجن، ومعظمها يتفق في نقطة واحدة مفادهاأن السجن هو المكان المغلق الذي تصادر فيه حرية الشخص، فيمنع من ممارسة حياته بشكل طبيعي.

مفهوم شعر السجون:

شعر السجون هو ذلك الشعر الذي كتبه الشعراء أثناء فترة سجنهم فهو عبارة عن "أزاهير وثمار من صور وأفكار وعواطف نبتت ونضجت بين أربعة جدران موحشة في هضبات وصروح من نفس الشاعر"[2]

وعليه"فشعر السجون يمثل صورة من صور المقاومة الجادة بالقلم والبدن ومعلما من معالم الأصالة والعبقرية في ليالي الاستدمار لأنه شعر التزم بقضايا الوطن والأمة ودافع عن مقوماتها في سبيل التحرر بروح إيمانية وتصور إسلامي وبسالة استشهادية"[3].

بالإضافة إلى ذلك فإن شعر السجون سمى كذلك لأنه كتب وراء القضبان وأنتج أعمالا شكلت تراثا متنوعا بأقلام عاشت التجربة كاملة وجربت كل تداعيات السجن.

---

[1] – سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، ط1، بيروت–لبنان، 2003م، ص ص 34–35

[2] – أحمد الصافي، ديوان حصاد السجن، مكتبة المعارف بيروت، (د.ط) 1983م، ص 11.

[3] – محمد زغينة، التناص في سجنيات مفدي زكريا، مجلة البحوث والدراسات، العدد 3، جوان 2006م، ص103

وكما"ينسب هذا الشعر إلى السجن لعلاقة السبب والمكان لأن شرطه أن يكون الشاعر سجينا حقا، وينظمه في السجن لا خارجه"[1].

نستطيع القول إن أدب السجن في أساسه أدب الوجدان والعواطف القوية الصادقة ولد في غياهب السجون المظلمة والزنازين المغلقة، تحكي لنا عذابات حقيقية وصور واقعية مر بهاالشعراء المساجين.

ليست المعاناة وحدها هي الثمار التي يقطفها الأسير في السجن، فالسجن يسمح لمن فيه بلحظات تأملية قد لا يجدها المرء خارجه، لذلك تفرز هذه اللحظات التأملية فرصة لدى البعض لاكتشاف ذاتهم وإخراج مكنوناتهم، والتعبير عنها بشتى الطرق فمنهم من أصبح في الأسر كاتبا أو روائيا، ومنهم من أصبح شاعرا أو فنانا.

رابعا–حياة هدبة بن خشرم وشعره:

1) اسمه ونسبه:

هو هدبة "بن الخشرم بن كرز بن أبي حية بن الكاهن ابن أسحم بن عامر ابن ثعلبة الكاهن بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد هذيم بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة.يكنى أبا سليمان"[2].

ولهدبة من الإخوة:"حوط وسيحان والواسع والأجدع وله أختان أيضا: سلمى وفاطمة. وفاطمة هي السبب وراء هذا القتال، فظن أنه شبب بها، فنزل هدبة فساق بالقوم، ورجز بأخت زيادة وكان يقال لها أم القاسم"[3].

---

[1] – أحمد الصافي، ديوان حصاد السجن، مرجع سبق ذكره، ص13.

[2] – أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تصحيح الشيخ أحمد الشنقيطي، ج19 مطبعة التقدم، مصر (د. ت)، ص169

[3] – المرجع نفسه، ص ن.

وهدبة "شاعر إسلامي فصيح، من شعراء صدر الإسلام خاصة، لم تسعفنا المصادر على ترجمة لحياة هذا الشاعر وأخباره لا سيما أخبار حياته الأولى فلا نكاد نعرف شيئا عن سنة ولادته وطبيعة نشأته وجل ما وصلنا عنه هو أخبار خصومته مع ابن عمه زيادة العذري"[1].

أما بالنسبة لـ"أمه حيّة بنت أبي بكر بن أبي حية وهي شاعرة، وقد سماها التبريزي ريحانة، وهذا دليل على أنه ينتمي إلى عائلة شاعرة فكلهم شعراء. ولهدبة زوجة واحدة من قبيلة قضاعة اشتهرت بالجمال والحسن والوفاء لزوجها والجزع عليه، ولهدبة منها ولدان، ذكر واحد باسم هدبة"[2]

وينحدر هدبة بن خشرم من قبيلة عذرة ولذلك يلقب بالعذري.

2) الخصومة بينه وبين زيادة:

تبدأ المصادر تتحدث عن هدبة وشعره من خلال الخلاف بينه وبين ابن عمه زيادة. فكان هدبة صاحب زيادة بن زيدالعذري، وهما مقبلان من الشام في نفر من قومهما، فكانوا يتعاقبون السوق بالإبل فنزل زيادة يسوق بأصحابه فرجز فقال:"

عُوجِي عَلَيْنَا وَارْبَعِي يَا فَاطِمَا مَا دُونَ أَنْ يُرَى البَعِيرُ قَائِمَا

أَلا تَرَيْنَ الدَّمْعَ مِنِّي سَاجِمَا حِذَارَ دَارٍ مِنْكِ أَنْ تُلائِمَا"[3]

فلما سمع هدبة هذا الكلام ظن أن زيادة يتشبب بأخته فاطمة، فنزل ورجز بأخت زيادة وكان يقال لها أم القاسم فقال:"

مَتَى تَظُنُّ القُلُص الرَّوَاسِمَا يَبْلُغْنَ أُمَّ القَاسِمِ وقَاسِمًا

خودًا كَأَنَّ البُوصَ والمآكِمَا منها نقا مخالطًا صرائمَا

والله لا يشقى الفؤادُ الهائِمَا تماسُكَ اللُّبَّاتِ والمعاصِمَا"[4]

---

[1] – سمير فراح، شعراء قتلهم شعرهم، مكتبة مدبولي الصغير، (ط1)، 1417هـ/1997م، ص07.

[2] – ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ص169.

[3] – سمير فراح، شعراء قتلهم شعرهم، مرجع سبق ذكره، ص 7.

[4] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، مرجع سبق ذكره، ص691.

يقول أبو الفرج الأصفهاني :(كان أول ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبد الله بن ذبيان وبين بني رقاش وهم بنو قوة بن حفش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان، وهم رهط زيادة بن زيد، وبنو عامر رهط هدبة، أن حوط بن خشرم أخا هدبة راهن زيادة بن زيد على جملين من إبلهما، وكان مطلقهما من الغاية على يوم وليلة، وذلك في القيظ، فتزودوا الماء في الزوايا والقرب، وكانت أخت حوط سلمى بنت خشرم تحت ابن زيد، فمالت مع أخيها على زوجها فوهنت أوعية زيادة، ففنى ماؤه قبل ماء صاحبه) فقال زيادة:"

قَدْ جعلت نَفْسِي في أديم مـــحـــرَّم الـــدّبـــاغِ ذي هُـــزوم
ثُـمَّ رمـت بـي عُـرض الـدَيـمُـوم فـــي بـــادحٍ مـــن وهـــجِ السُـــــمـــوم
عـــنـد اطـــلاع وَعـــأرةِ النـــجـــوم"[1]

ويقال أن هذه الحادثة والمراهنة التي جرت بين حوط وزيادة هي أول ماأنبتت الضغائن بينهما بالإضافة إلى رجز كلا من هدبة وزيادة بأختاهما فتشاتما وتسابا طويلا، فصاح بهما القوم: اركبا لا حملكما الله، فإنا قوم حجاج. وخشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه. وهدبة أشدهما حنقا لأنه رأى أن زيادة قد ضامه إذ رجز بأخته وهي تسمع قوله، أما كانت أخت زيادة فكانت غائبة لما زجر بها هدبة، فمضيا ولم يتحاورا بكلمة حتى قضيا حجهما، ورجعا إلى عشائرهما. ولم ينته الأمر بهذا الحد حيث تحولت هذه الخصومة من التشبيب إلى ذكر التفاخر والعلو على الآخر، فقد قال زيادة قصيدة طويلة يفاخر بها هدبة يقول:"

أَرَاكَ خليلًا قـد عزمـتَ التجنبَـا وقَطَعْـت حـاجَـاتَ الفؤادِ فـأصـــحبَـا"[2]

فأجابه هدبة بقصيدة عارضه فيها فذكر مالقومه من المفاخر، ثم إنه لم يكتف بذلك وإنما راح يكيل له ولقومه هجاء مذقعا يقول فيه:"

---

[1] – رمضان رضائي، هدبة بن الخشرم، وقفة في حياته وشعره، التراث الأدبي–السنة الأولى–العدد الرابع، تاريخ الوصول: 1388/06/18هـ، تاريخ القبول: 1388/09/29هـ، ص 85.

[2] – ينظر: سمير فراح، شعراء قتلهم شعرهم، ص10.

ذكر شـــجواً من أميمـة منصـــبا تليـداً ومُنتـابـاً من الشـــوق مُجُلبـا"[1]

فتفاقم الشر بينهما فأدى ذلك إلى إشهار السيوف فيما بينهما، فقام زيادة بجمع رهطا من أهل بيته فوجدوا هدبة فضربه على ساعده، وشبح إياه خشرما وقال زيادة في ذلك:"

شَـــجَجنا خَشـــرَماً في الرَأسِ عَشـــرا وَوَقَّـفـنـــا هـدبـــة إذ هَـجـانـــا"[2]

فقال هدبة:"

إن الـــدهـــرَ مـــؤنـــتـــفٌ جـديـدٌ وشـــرُّ الخيـلِ أقصـــرُهَـا عنـانًـا

وشـــرُّ النـــاسِ كـل فتًى إذَا مَـا مزنـه الحَربُ بَعـدَ العصِـــــبِ لانـا"[3]

فلم يزل هدبة يطلب غرة من زيادة، حتى أصابها. وتكاثرت الروايات والقصص التي تناقلت أخباره وقيل أنه(هدبة) قام بجمع رهطا من قومه وأصحابه فقصدوا زيادة، وكانت ريحانة نهته عن الخروج فلم ينته، وكان قوم زيادة قليل –لأن الناس في الربيع تفرق بهم المحال– "خذوا زيادة فجدعوه بسيوفهم حتى إذا ظنوا أنهم قد قتلوه انصرفوا، ثم التقى هدبة وزيادة فضربه هدبة فأطن عضلة رجله، فاعتمد إلى الرمح وجعل يذيب بسيفه عن نفسه حتى غشيه هدبة فصرعه.

وهناك من يزعم أن زيادة أصاب هدبة فجدع أنفه وانصرف هدبة وأصحابه ولايعلم بأنه جدع فلما وجد هدبة شفيف الريح في أنفه، فذهب ينظر فإذا أنفه قد جدع، فقال لأصحابه انتظروا حتى أتيكم فوالله لاأعيش أبدا ورجل قد جدع أنفي، فرجع إلى زيادة فقتله وأدرك أصحابه وتنحى مخافة السلطان"[4]. فأمر سعيد بن العاص باعتقال عم هدبة وجميع أهله، فلما سمع هدبة الخبر أقبل حتى أمكن من نفسه، وخلص عمه وأهله من أسرهم، فظل هدبة محبوسا

---

[1] – المرجع السابق، ص ن.

[2] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، مرجع سبق ذكره، ص692.

[3] – المرجع نفسه، ص ن.

[4] – أبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي، أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، (ط1)، بيروت–لبنان، 1422هـ/2001م، ص263.

حتى شخص عبد الرحمان بن زيد–أخو زيادة– إلى معاوية فأورد كتابه إلى سعيد بأن يقيد منه إذا قامت البينة، فأقامها فمشت عذرة إلى عبد الرحمان فسألوه قبول الدية فامتنع من ذلك، وسأله سعيد أن يقبل الدية منه، وقال: أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جداء ولا ذات داء فقال: والله لو نقيت لي مجلسك هذا ثم ملأته ذهبا ما رضيت به.

ولم يزل سعيد يسأله حتى عرض عليه ست ديات فأبى، ويقال أن سعيد بن العاص كره الحكم بينهما فحملهما إلى معاوية، وتقدم معه عبد الرحمان أخو زيادة بن زيد، فادعى عليه وشكا له مظلمته وقتل أخيه.

يقول أبو الفرج: "فقال له معاوية: (أراك قد أقررت بقتل صاحبهم، ثم قال عبد الرحمان: هل لزيادة ولد؟ قال : نعم، المسور، وهو غلام صغير لم يبلغ وأنا عمه وولي دم أبيه، فقال: إنك لا تؤمن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق، والمسور أحق بدم أبيه أوماعليك أن تشفي صدرك وتحرم غيرك ! ثم وجه به إلى المدينة فقال: يحبس إلى أن يبلغ ابن زيادة فحبس ثلاث سنين حتى بلغ المسور)"[1].

وذهب عبد الرحمان بن زيد بالمسور بن زيادة وقد بلغ إلى والي المدينة وهو سعيد بن العاص، فأخرج هدبة بعد أن فقدالأمل في الخروج من السجن فبقي ينتظر الموت، وفي الليلة التي قتل في صباحها أرسل إلى امرأته أن تأتيه ليودعها ويستمتع بها بعد أن طال الفراق بينهما.

و"قبل سوقه إلى القتل أرسل إليه وجوه قريش كفنا وحنوطا، وفي يوم الجمعة أمر سعيد بن العاص بقتله، وكان أبواه وامرأته يمشون على أثره. ويقال إن عبد الرحمان بن حسان بن ثابت اعترضه وقال له: أتمرني أن أتزوج هذه بعدك يعني زوجته. ونظرا لشدة وفاء زوجة هدبة قامت بجدع أنفها وقطع شفتيها"[2].

ف "هناك من يقول أن المسور بن زيادة هو من قتله والبعض الآخر يقول أنه دفع لأخي زيادة بقتله فاستأذن هدبة أن يصلي ركعتين، ثم التفت إلى من حضر وقال: علامة ما بيني وبينكم

[1] – التبريزي، المعروف بالخطيب، لاتا، ج2، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، عالم الكتب (د. ط)، بيروت (د. ت)، ص14.

[2] – الأصفهاني، الأغاني، مرجع سبق ذكره، ج21، ص ص291–292.

إن جزعت، فإني إذا قطعت رأسي مددت رجلي وقبضتهما، وإن أنا بقيت ممدود الرجلين فإني لم أجزع، فلما سقط بقي باسطا رجليه"[1]

3) وفاته:

يتضح مما سبق إن سبب وفاة هدبة بن الخشرم راجع لقضية الأخذ بالثأر، حيث عاهد كل من عبد الرحمان بن زيد ومسور بن زيادة بأخذ ثأر أبيه من قاتله أمام الملأ، حيث يروى "أن هدبة قال للمسور: أثبت قدميك وأجد الضربة، فإني أيتمتك صغيرا، وأرملت أمك شابة"[2]

إلا أنه لا يوجد تاريخ محدد لوفاته، والبعض يروي سنة 57 هجرة.

ولقد حظي شعره باهتمام الأدباء والنقاد وخاصة الشعر الذي قاله في السجن، فقد كان شعره تعبيرا صادقا عن عواطفه واحساساته،و هو يعاني آلام السجن ومرارة الفراق وترقب الموت فقد قالوا: "كان هدبة أشعر الناس منذ يوم دخل السجن إلى أن أقيد منه"[3].

والدليل على دهائه وسرعة بديهته وارتجاله قصته مع معاوية بن سفيان، وعبد الرحمان بن زيد عندما قال له: أتحب أن يكون الجواب شعرا أم نثرا. فهو بهذا التحدي يؤكد لنا قدرته على قول الشعر والإجادة فيه مهما كان حاله وأينما كان.

4) موضوعاته: (مستمدة من ديوانه)

أما موضوعات شعره فهي تكاد تنحصر في الغزل والهجاء والفخر والحكمة وذكرالشيب والوصف.

أ) الغزل:

وهو من الأغراض الشعرية المهمة في عصر ماقبل الإسلام والعصر الأموي، لأنه يتضمن ذكريات الشاعر لشبابه ووصفه للمرأة التي يحبها ومتيم بعشقها والحالة التي آلى إليها جراء

---

[1] – أبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي، أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، مرجع سبق ذكره، ص267

[2] – يحيى الجبوري، ديوان هدبة بن الخشرم العذري، مصدر سبق ذكره، ص22.

[3] – ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ج21، ص296.

هجرانها. حيث نجد هدبة يصف امرأته بالحسن والجمال وكذلك الوفاء والإخلاص، ويذكرهاهدبة بكنى مختلفة تارة بأم وزع وتارة أخرى بأم معمر، وتراه يصف حبه لها وشوقه إليها وتعلقه بها ورغبته في لقائها لشدة شوقه لها وهيامه بها، وتمنيه لقائها،فإن خاب هذا اللقاء فلعله يرى طيفها في الحلم."

ألا ليتَ شِـــعري هل إلى أُمِّ معمرٍ علَى مـا لَقينـا مِنْ ثنـاءٍ ومِنْ هجرِ
تبـاريحُ يلقـاهـا الفؤادُ صـــبـابـةً إليهـا وذِكراهـا علَى حينِ لا ذكرِ"[1]

فكانت زوجته هي المتنفس عن أحزانه وهمومه ومحنته.

ب) الهجاء :

وعكسه المديح وهو من الأغراض الشعرية المهمة وتكون عادة عندما يريد الشاعر أن يعبر عن كرهه وسخطه لشخص آخر، "فقد ثبت أن سبب هجاء هدبة لابن عمه زيادة هو ظن هذا الأخير أن ابن عمه قد تشبب بأخته وزجر بها، فقام هدبة بزجر أخت زيادة مما زاد الطين بلة واشتدت الخصومة والعداوة بينهما فتساباوتشاتما حتى وصل الحد بهما إلى إشهار السيوف، وأدت هذه الكراهية والبغضاء في نهاية المطاف إلى قتل زيادة من قبل هدبة بن خشرم.

ج) الفخر :

وهو من أبواب المديح لأن الشاعر فيه يستحضر قيم المديح ليضيفها على نفسه وقومه، إذ نجد أن هدبة يفتخر بفتوته وشدة تحمله المصاعب والمصائب، فهو لا يبالي الموت ولا يخافه وهذا دليل على شجاعته وصلابته وقوة صبره، وكذلك راجع لأن حياته قضاها فارسا مقاتلا لايخشى المخاطر.

[1] – المصدر السابق، ص40.

د) الحكمة:

فصبره وتحمله حكمة، والرضا بقضاء الله وقدره حكمة أخرى، وإيمانه بمشيئة الله وبحكمه، فالحكمة تعبر عن المعرفة التي يكتسبها الفرد بسبب التجارب والخبرات التي مر بها. ولهذا صار شعره يغلب عليه طابع النصح والتماس العبرة لأنه يرى سبب قتل ابن عمه كان طيشا.

هـ) الشيب :

فهو بالرغم من شبابه وقوته إلا أنه يصور لنا حالة الهزال والضعف التي آل إليها فهو يتحدث عن الشيب حديث الشيوخ المسنين، يتحدث عن الزمان والهموم التي جعلت رأسه يمتلإ شيبا.

و)الوصف :

حيث برع هدبة في وصف السجن ووصف ليله الموحش الكئيب، والأرق الذي يصيبه في أيامه الأولى، ففي السجن يبطئ سير الحياة وتتعطل فيه حركة الزمان والأحداث لا تتغير، ويصور لنا البناء بأنه محكم وكبير والغرفة مظلمة وضيقة ورطبة، وكذلك يصور وقع أقدام الحارس الرتيبة تأتيه من خلف الباب، ويصف هدبة حاله وهزاله والسلاسل التي تقيده ومكوثه الطويل في السجن جعله يتمثل الموت ويراه أمام عينيه"[1].

وقد تمثل الأثر الإسلامي كذلك في شعره من خلال رضاه بقضاء الله وقدره، وكراهيته للظلم والعدوان، ويرى أن خير مايسعى إليه المرء هو نيل رضوان الله وتقواه وأن مصير الإنسان الموت وهذا دليل على تمسك هدبة بإسلامه وبصدق إيمانه وبثقته بقدرة الله على كل شيء وأن الموت حق علينا، فللموت وقت مقرر وموعد لا مفر منه، فنجده يهون من شأن الموت لكي يكون وقعه على من يحبه ويفتقده هينا.

[1]-المصدر السابق، ص ص 30-40.

5-شاعريته:

كان هدبة بن خشرم شاعرا وراوية، كان يروي للحطيئة، لم يحفظ إلا جزء يسير من شعره، وذلك راجع لقتله وهو شابا، والشعر الذي وصلنا أكثره قاله في السجن وعندالموت، أما ديوانه فقد فُقد مثله مثل باقي الدواوين.

أما ابن النديم "فأشار إلى أن السكري عمل شعر زيادة بن زيد مقرون بشعر هدبه بن خشرم جاء في الفهرست: وعمل السكري أشعار جماعة من الفحول وقطعة من القبائل فمن عمل شعره من الشعراء:: امرؤ القيس والنابغه الذبياني وقيس بن الخطيم واشعار اللصوص واشعار هذيل وهدبة بن خشرم والأعشى... وذكر ابن النديم أن الزبير بن بكار صنف كتابا أخبار هدبة وزيادة"[1].

وقد جاء شعره متناثرا بين كتب الأدب والنقد والحماسة وغيرها من الكتب، وأكبر قسم وصلنا ما حفظه صاحب منتهى الطلب، فقد جاء فيه خمس قصائد مجموع أبياتها 229 بيتا، فقد ضاع ديوانه وبقيت منه نتف متفرقة ومقطعاته . ولدينا من شعر هدبة مقطعات هي في الأصل قصائد طويلة، "فأبو الفرج الأصفهاني يروي قصة لقاء هدبة بزوجته في السجن بعد مقتله، ويروي قوله:

وَأَذَيْتِنِي حَتَّى إذا مَاجعَلْتِنِي لَدَى الخَصْرِ أوأَدْنى أستقلكِ رَاجِفٌ

ويقول: "ثم قال الشعر حتى أتى عليه، وهو طويل جدا وفيه يقول: ويذكر له صوتا في أربعة أبيات أخرى" [2].

وتكثر في شعر هدبة المقطعات والأبيات،و فيها دليل على ضياع شعره حيث يوحي بعضها إلى النقص وحذف أبيات ساقطة، ولهذا السبب نجد أن المصادر تضطرب في ترتيب هذه الأبيات .

---

[1] -ابن نديم (محمد بن اسحاق الوراق)، طبع وتحقيق: رضا تجدد، (د. ط)، طهران، 1350ه، ص ص189/123.

[2] -الأصفهاني، الأغاني، مرجع سبق ذكره، ج21، ص ص289-290.

نظم هدبة شعره على أوزان البحر الوافر الا ان البحر الطويل لأنه كان المحبب لديه، بالإضافة إلى شعره الذي كان يغلبه طابع الهم والحزن، فكان هذا البحر مناسبا لنفسيته.

وينحدر هدبة من أسرة شاعرة "فأمه كانت شاعرة وإخوته كذلك، هذا الدافع الأسري جعل الشعر يتغلغل داخل أعماقه،فأجاد فيه حيث يعد من الشعراء والرواة التي اتصلت روايتهم من الجاهليةحتى نهاية القرن الأول من العصر الأموي. فغلب على شعره الارتجال والبديهة، وكيف لايكون شاعرا جيدا عارفا ومتقنا لقوانين صناعة الشعر وهو لازم فحول الشعراء مثل: الحطيئة، أوس بن حجر، زهير بن أبي سلمى..."[1]

[1] – الأصفهاني، الأغاني، ص277.

الفصل الأول:

موضوعات شعر السجون

الفصل الأول: موضوعات شعر السجون

أولا–مفهوم شعر السجون

ثانيا–تطور شعر السجون عبر العصور الأدبية:

1) العصر الجاهلي

2) العصر الإسلامي والأموي

3) العصر العباسي

ثالثا–موضوعات أدب السجون:

1) الجوانب النفسية:

أ) وصف المعاناة ومظاهرها

ب) الخوف من الموت

ج) هموم السجن

د) الصبر والتوبة

2) الجوانب العاطفية:

أ) الأمل واليأس

ب) الحنين والأشواق

أولا-مفهوم شعر السجون:

من أول نظرة في المفردتين نلاحظ أن هذا الشعر نسب للسجن أوهو سبب هذه التسمية. وهو مركب إضافي يتكون من الشعر والسجن، وعليه فالشعر كما عرفه 'ابن سلام الجمحي':بأنه صناعة كما يعرفه شأن أي صناعة ولايمكن لأحد أن يقوم بإصدار الأحكام عليه، إلا إذا كان على قدر كاف من المهارة والثقافة والحذق لتلك الصناعة الفنية. إذ يقول ابن سلام:"وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلوم والصناعات منها ماتثقفه العين ومنها ماتثقفه الأذن ومنها ماتثقفه اليد ومنها مايثقفه اللسان، من ذلك اللؤلؤ والياقوت لايعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره..."[1] .

أما فيمايخص السجن "فهو موطن آخر وهو غاية في الضيق محكم السدود والقيود، أما النتاج الأدبي فيه يسمى حصاد السجن، وينظمه في السجن لا خارجه،أما من حيث موضوعه فهو السجن وما يتصل به، أو الحرية والتحرر ومايتصل بها من الظروف، وهذا الشعر أحد شتات أدب السجون في الأدب العربي قديمه وحديثه"[2].

إن "شعرالسجن شديد الصلة بشعر الهجاء السياسي فهو نتيجة له في معظم الأحيان"[3].

فبالنظر إلى العلاقة بين السياسة والشعر وهي علاقة معقدة وحتمية أيضا،إذ تمتد السياسة لتشمل كل قضايا الإنسان وتتحكم في حاجياته وتوجه اهتماماته، ويرتبط الشعر بحياة الإنسان في أدق تفاصيلها يصورها ويكشف خباياها، فإن نجح الشاعر في إيصال صوت شعبه وساهم في تعبئة المجتمع فقد فلح، وإن أخفق في إيصال فكرته فتنتهي به في أخف الأحوال إلى السجن.

---

[1] – ابن سلام الجمحي،طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الإسلاميين، (د.ط)، المطبعة المحمودية التجارية الكبرى– مصر، (د.ت)، ص5.

[2] –مقران فصيح، البناء اللغوي لشعر السجون عند مفدي زكرياء وأحمد صافي النجفي، منشورات بونة–عنابة–الجزائر، ط1، 2008، ص13.

[3] –فورار امحمد بن لخضر،الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية، دار الهدى، عين مليلة، (د ط) ، (د ت) ، ص134.

وخلاصة القول إن شعر السجون هو الكلام النابع من خلف الأسوار والزنازين المغلقة، كتب وراء القضبان محملا بالعواطف الشجية والتوق إلى نيل الحرية وشوقه لنور الشمس. فمن خلال هذا الشعر استطاع الشاعر تصوير نفسيته خلف الدهاليز المظلمة رافضا الظلم والإهانة والذل وحرمانه من أبسط الحقوق.

ثانيا-تطور شعر السجون عبر العصور الأدبية :

لقد عرف هذااللون من الأدب تطورا ملحوظا عبر سائر العصور الأدبية نظرا لما كان له من دور بارز ومهم في حياة الإنسان سواء كان شاعرا أو ناثرا وذلك دليل على رفضه للظلم والاستبداد وحبه للحياة وتعلقه بالحرية المطلقة لا المقيدة.

1) العصر الجاهلي :

الملاحظ للحياة الجاهلية يدرك أنه "لم تكن لهم سجون مخصوصة لهذا الغرض وإنما كانوا يحبسون السجين حينما تيسر في دار أو خيمة أو عند شخص معروف عنده مكان للحبس"[1] . "ونظرا لظروف الحياة الاجتماعية التي كانت تحياها القبائل العربية من ترحال، فإنهم كانوا إذا أذنب أحد أفراد القبيلة غرم بدفع شيء من المال أو الأنعام أو يبعد مدة زمنية معينة، أو تتبرأ منه القبيلة على الإطلاق.إذا لجأت إلى عقوبة الطرد بحيث لا يسمح له بالمجيء إلى قبيلته أو إهدار دمه بحيث تصبح قبيلته غير ملتزمة به،وإذ اضطرت إلى الحبس تحبسه في خيمة مع حارس أو تحفر له حفرة في الأرض مربوطا بحبال لا يستطيع الهرب"[2]. وبالرغم من عدم توفر بناء مخصص للحبس عند الجاهليين إلا أن المفهوم المعنوي له كان حاضرا ويبرز ذلك في أشعار بعض السجناء الجاهليين الذين سجنوا لأسباب متباينة منها: الوشاية

[1] – واضح الصمد، السجون وآثارها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت-لبنان،1415هـ/1995م، ص15.

[2] – جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج5، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1970م، ص ص588-589.

السياسية أو يكون الحبس بسبب الحروب فيعتقل الشعراء كأسرى حرب، كما حدث للشاعر عبد يغوث عندما سجنه الأهشم في منزل زوجته، فأنشد عبد يغوث في ذلك شعرا منه قوله:"

أقول وقد شَـــدُّوا لســـاني بنِســـعةٍ امعشـــرَ تَيْمٍ أطلِقوا عن لِســـانيـا

وتضـــحكُ منِّي شـــيخةٌ عبشـــميَّةٌ كـأنْ لم تَرَ قلبي أســـيرًا يَمـانيـا"[1]

فـ"السجن في حياة البدو فقد كان نتيجة للعلاقات السائدة والتي قوامها الحرب وظهور السبي والأسر وانتشار اللصوصية والنهب والسلب، وفي حياة الحضر لا يتعدى هذه الأسباب مضافا إليها بعض الأسباب السياسية والإجتماعية"[2].

ومن حوادث الأسر ماحصل مع جويرة بن بدر الدارمي حيث قامت قبيلته "ربيعة" بأسره عندهم فبقي في وثاقه حتى رآهم مرة يشربون فأنشأ يتغنى ويقصد إسماعهم قائلا:"

لَـعَـلَّـهُـم أَن يُـمْـطِـرونـي بـنِـعْـمـةٍ كما صَـــاب مَاءَ المُزنِ فِي البَلَدِ المحل

فَـقَـد يُـنْـعِـشُ اللهُ الـفـتـى بِـعَـدْلـه وَقد تَبتَنِي الحُسْـــنى ســـراةَ بَنِي عَجْلِ"[3]

فلما سمعوا هذه الأبيات أطلقوه.

وكان الهجاء في الجاهلية بدوره سببا في السجن، وخير مثال على ذلك هجاء طرفة بن العبد للملك حيث رفض كل وسائل التهديد والانخضاع أمام ملك يملك القوة والمال وتمسك بموقفه الشجاع أمامه. فحافظ بذلك على هيبته ومكانته بين قومه والتاريخ يشهد ذلك حيث يقول طرفة هاجيا الملك:"

قســـمـتَ الـدّهرَ فـي زمـنٍ رخـيٍّ كـذاكَ الـحُـكْـمُ يَـقْـصِـــدُ أوْ يَـجـورُ

لـنـــا يـــومٌ ولـلـكـروانِ يـــومٌ تَـطِـيـرُ الـبـائِسـاتُ ولا نَـطِـيـرُ

فـأمّـا يَـوْمُـهُـنّ، فـيَـوْمُ نَـحْـسٍ، تُـطَـارِدُهُـنّ بـالـحَـدَبِ الصّـــقُـورُ

وأمَّـا يـومُـنـا فـنـظـلُّ ركـبـاً وُقـوفـاً، مـا نَـحُـلُّ ومـا نَسِـــيـرُ

---

[1] –ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، ط1، بيروت، 1989م، ص38.

[2] – سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، مرجع سبق ذكره، ص ص47–48

[3] – واضح الصمد، السجون وآثارها في الآداب العربية، مرجع سبق ذكره، ص22.

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثا حول قبتنا تخور
من الزابرات أسبل قادماها وضرتها مركنة دروراً"[1]

وكان هذا الهجاء للملك والسخرية من ابن عمه سببا كافيا لقتله، حين وقع بين أيدي "المكعبر الذي قطع يديه ورجليه ودفنه حيا ومات طرفة وعمره صغير"[2].

ويمكن أن يكون الطريق إلى السجن لهجاء اجتماعي كما اشتهر به الشاعرالحطيئة،أو لسبب سياسي وهذا مانجده "عند النابغة الذبياني،وذلك ماتجلى في علاقته مع البلاط السياسي حيث نفي وأفرد،فقد وقع ضحية لشائعات كانت تهلكه وذلك عندما أغار النعمان بن وائل بن الحلاج الكلبي على بني ذبيان فأخذ منهم وسيس سبيا من غطفان،وأخذ عقرب بنت النابغة فسألها: من أنت؟ فقالت: أنا بنت النابغة. فقال لها: والله ماأحد أكرم علينا من أبيك ولاأبقع عند الملك ثم جهزها وخلاها،و أطلق له سبي غطفان وأسراهم"[3].

يقول النابغة في هذا الصدد:"

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الذي هُوَ مُدرِكي وَإِن خَلَت أن المُنتَأَى عَنكَ وَاسِعُ"[4].

ففي هذا الخطاب يظهر الشاعر خائفا مما سمع وخائفا مما سيلحقه من أذى، لأن الملك يبسط يده على منطقة الحيرة، وكذلك يبين لنا هذا البيت توتره وعجزه عن مواجهة الملك النعمان.

وهكذا نرى أن عملية السجن والأسر كانت شائعة عند القبائل العربية في العصر الجاهلي، وربما كانوا يجهدون أنفسهم في أسرهم على أسر السادة فيساومون بالثمن أم بالمقايضة.

---

[1] – عائض القرني، قصائد قتلت أصحابها، دار الأديب، (د ط)، بيروت–لبنان، (د.ت)، ص ص54–55.

[2] – غازي طليمات، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي (قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه)، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت–لبنان،1422هـ /2002م، ص446.

[3] – ينظر: واضح الصمد، السجون وآثارها في الآداب العربية، ص207.

[4] –غازي طليمات، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي (قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه)، مرجع سبق ذكره، ص353.

2) العصر الإسلامي والأموي:

مع مجيء الإسلام وسطوع نوره تغيرت القوانين والأعراف فيمايخص الأحكام الجزائية فقد أضحت "تستند العقوبات في المجتمعات الإسلامية إلى القرآن الكريم، وإلى السنة النبوية، واجتهادات الفقهاء ولعل أبرز مبادئ هذه المدونة هو القصاص بعد ثبوت الإدانة. لذلك لم تكن هناك حاجة ماسة للسجون إلا المخالفات التي لم تضع لها الشريعة حدا"[1]. وأول من بنى السجون هو علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) فإنه بنى نافعا وبنى المحيس وهو الذي يقول:"

كَيْفَ تَراني كَيِّسًا مُكَيَّسًا بَنَيْتُ بَعدَ نافِعٍ مُحَيسًا.

سِجْنًا حَصِينًا وَأَمِيرًا كَيِّسًا"[2]

لقد كانت السجون بكثرة في الجزيرة العربية قبل الإسلام وتطورت تدريجيا في صدر الإسلام نظرا لمقتضيات الحياة الإجتماعية. وقد تحدث القرآن الكريم عن السجن في آيات عديدة منها سورة يوسف: "قَالَتْ مَاجَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُواءًا إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" [3] وقوله أيضا: " قَالَ رَبِّ السِّجْن أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ..."[4] كماورد ذكرالسجن في السنة كذلك إلا أنه وجد اختلاف في مسألة ماإذا قام الرسول بسجن أحدهم أم لا. ذهب فريق إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم "لم يكن له سجنا ولم يسجن أحدا، وذكر بعضهم الآخر أنه سجن في المدينة في تهمة وفي غيرها مستدلين بذلك على ما ذكره "المقريزي" روي أبو داود وابن ماجة عن الهرماس بن حبيب عن أبيه، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بغريم لي، فقال لي ألزمه...ثم مر الرسول صلى الله عليه وسلم بي آخر النهار فقال مافعل أسيرك

---

[1] – واضح الصمد، السجون وآثارها في الآداب العربية، مرجع سبق ذكره، ص23.

[2] –ديوان الحطيئة من رواية ابن حبيت عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشبياني، شرح: أبي سعيد السكري، دار صادر، (د.ط)، بيروت،1981م، ص164.

[3] – سورة يوسف الآية 25.

[4] – سورة يوسف الآية 33.

يا أخا بني تميم؟ وهذا هو الحبس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، ولم يكن له محبس معد لحبس الخصوم"[1].

ولما "اتسعت الدولة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب وكثر الناس ازدادت الحاجة إلى مكان لحبس بعض المجرمين، فابتاع عمر دار الصنوان بن أمية بمكة لذلك الغرض"[2]. فكان سبب السجن راجع لأسباب تتعلق بتجاوز الحدود الإسلامية كشرب الخمر وقذف الناس وهجاؤهم، وهي سلوكات يبغضها الإسلام ويدعو القائمين عليه إلى تسليط العقوبة على مرتكبيها جلبا للمنفعة. وخير مثال على ذلك (أبو محجن الثقفي) الذي سجنه عمر بن الخطاب بسبب معاقرته الخمر، إذ نهاه عمر مرارا فلم ينته، فنفاه إلى جزيرة هرب في طريقه إليها والتحق بجند سعد بن أبي وقاص، فكتب إليه عمر يأمره بحبسه فكان ينشد وهو يسمع بأخبار القتال."

كفى حزناً أن تلتقي الخيل بالقنا وأترك مشدوداً علي وثاقيا
إذا قمت غناني الحديد وغلقت مصارع دوني قد تصم المناديا.
ولله عهدٌ لا أخيس بعهده لئن فرجت أن لا أزور الحوانيا"[3]

وكان عمر يستعين بالآبار المهجورة لحبس الأشخاص مثل (الحطيئة) الذي حبس في بئر فقال:"

مَاذَا تَقُولُ لِأفْرَاخ بذي مَرخٍ زَغبُ الحَوَاصلِ لا مَاءٌ ولا شجرٌ.
أَلْقَيت كاسيهم في قعرٍ مظلمٍ فَاغفِر علَيك سلامُ اللهِ يا عمرُ"[4]

أما في مايخص عليا بن أبي طالب فقد ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم أعمال القضاء وهو حديث السن ولا علم له بالقضاء فوجهه الرسول بقوله:"إذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقض

[1] – تقي الدين المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، دار صادر، الطبعة الجديدة بالأوفست، بيروت، ص187.

[2] – سعيد عبد الفتاح عاشور، الحياة الإجتماعية في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، العدد 1، مجلد 11، ص124.

[3] – عبده بدوي، دراسات في النص الشعري (عصر صدر الإسلام وبني أمية)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، القاهرة–مصر، (د.ت)، ص9.

[4] – الحطيئة، ديوانه، مرجع سبق ذكره، ص164.

بينهم حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول قال فمازلت قاضيا وماشككت في قضاء بعد"[1]

وكان للخليفة علي سجن في الكوفة في القصب فسماه نافعا ففتقه اللصوص وقيل "كان المحبوسون يهربون منه، ثم بنى سجنا من مدر وسماه مخيسا"[2].

ومما ورد "أن عليا بن أبي طالب هو أول من أجرى على أهل السجون مايقوتهم في طعامهم وادمهم وكسوتهم في الشتاء والصيف وذلك بالعراق، ثم فعله معاوية والخلفاء من بعده في الشام"[3].

أما "في العصر الأموي تميزت السجون بالكثرة والتنوع بسبب تزايد الخصومات السياسية والقبلية المذهبية. كل هذه المشاكاأدت إلى كثرة الحروب والفتن والتي بدورها أدت إلى دخول العديد من الشعراء إلى السجون من بينهم 'يزيد بن مفرغ' كان حميريا من عرب اليمن وكان منقطعا إلى آل زياد أبيه يمدحهم ثم انقلب عليهم، وأخذ يهجوهم سرا فعلموا بذلك فحقدوا عليه،فانقلب هو الآخر عليهم وهجاهم علنا وقد حبسه 'عبيد الله بن زياد' وعذبه بكل ألوان العذاب"[4].

أما "في عهد 'هشام بن عبد الملك' فكانت السجون تغص بالنزلاء منهم من دخلوه بسبب الضرائب ومنهم حول ولاية العهد. أما في عهد 'الوليد بن يزيد بن عبد الملك' فلجأ إلى جانب آخر من الحبس وهو طريقة غريبة في العقاب، وهو أن يقوم ببيع السجين بثمن باهظ لأعدائه كما فعل بخالد القسري.

لم يكن السجن في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي وسيلة لابتزاز الأموال فحسب، من الأمراء والولاة بل كان أيضا وسيلة لقمع التيارات السياسية المعارضة للسلطة الحاكمة خصوصا مع

---

[1] – ينظر: واضح الصمد، السجون وأثرها في الآداب العربية، ص37.

[2] – المرجع نفسه، ص37.

[3] – ينظر، ص ن.

[4] – عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم من الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية)، ج1، دار العلم للملايين، (د.ط)، بيروت–لبنان، (د.ت)، ص427.

الشيعة العلويين .فقد بلغت العناية بالسجون أشدها في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي الذي اعتنى ببناءها وتفنن في تنظيمها، ونسبت إليه سجون كثيرة"[1]. كما أن السجون في عصر بني أمية قد كانت مستقرا للمذهبية التي ضمت الدين والتعصب والشعوبية والزندقة والصراع على السلطة والتمرد والثورة، وكانت عقوبة السجن لاتحدد بفترة زمنية معينة لكل جرم، وإنما يز بالسجين هناك ويترك الأمر لمزاج اصحاب السجن ولظروف المساجين أنفسهم.

3) العصر العباسي:

لقد عرفت مؤسسة السجن في هذه الدولة تغييرا جديدا وضوابط صارمة وتنظيما محكما حسب قوانين هذه الدولة التي عرفت مزيدا من القوانين."فأخذ العباسيون يلقون في وعي الناس أنهم أصحاب حق إلهي في الحكم فهم سلطان الله في أرضه وأحاطوا أنفسهم بالحجاب والحراس، ولم يعد العرب يدخلون على الخليفة إلا بعد استأذان الحجاب"[2].

إن "العصر العباسي عصر حرية في كل شيء، حيث أطلق فيه الناس لأنفسهم حرية التمتع والتلذذ حتى شاعت الحرية شيوعاكبيرا إلى درجة أنه لم يحرم منها إنسان ولا جهلتها نفس من المِؤمن إلى زنديق ومن الغني إلى الفقير"[3].

فالخمرة على سبيل المثال "فقدأصبحت شيئا عاديا وواقعا يلاحظ في المدن، خاصة أن بغداد التي كانت عامرة ببيوت القيان التي أصبحت في هذا العصر كالأندية يقصدها عشاق الخمرة ومحبوا الجواري والغلمان من كل حدب وصوب، ناهيك عن بيوت أخرى كانت لياليها كلها أعراسا يحتفل الشعراء فيها بحبهم ولهوهم ومجونهم"[4].

إن إحصاء أدباء السجون في العصر العباسي يكشف عن عدد هائل من هؤلاء الشعراء يقارب حسب إحصائيات "عبد العزيز الحلفي الأربعين شاعرا من بينهم أبو فراس الحمداني وأبو نواس

---

[1] – واضح الصمد، السجون وآثارها في الآداب العربية، مرجع سبق ذكره ص ص50–51–53.

[2] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي –العصر العباسي الأول–، دار المعارف، ط8، (د.ت)، ص21.

[3] – مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول (132هـ –232هـ)، (د.ط)، الجزائر،1995م، ص ص81–82.

[4] – شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، ط7، 1971م، ص172.

وغيرهم.زجت المقادير في سجون بني العباس من الأدباء والشعراء الذين خلدوا ذلك نتاجهم الأدبي"[1].

كما يمكننا الاستشهاد بشعر "أبي فراس الحمداني الذي تميز بالغزارة والتنوع وذلك طول مدة السجن فهذا الأخير وقع أسيرا عند الروم ولكن الخلاف يكمن في الروايات المتناقضة، فمن الرواة من قال مرة واحدة مثل 'ابن خلدون' ومرتين حسب رواية 'ابن خلكان'"[2] وقال فيه قصائد كثيرة أثرت بأدبنا العربي، فأنشأ مايسمى بالروميات، وهي مجموعة القصائد التي كتبها وهو في أسر الروم.

ومن أولى روملياته قالها يفتخر، وقدبلغه أن الروم قالت: مأسرناأحد لم نسلب سلاحه غير أبي فراس، فيقول مخاطبا سيف الدولة:"

أرَاكَ عَصِـيَّ الدّمعِ شِـيمَتُكَ الصّـبرُ أمـا لـلـهـوى نـهـيٌّ عـلـيـكَ ولا أمـرُ؟

بلى أنـا مشـتـاقٌ وعنـديَ لوعـةٌ ولـكـنَّ مـثـلـي لا يـذاعُ لـهُ سـرُّ!"[3]

ويعز على أبي فراس أن يعيش أسيرا بعيدا عن الميادين التي كان يقوم فيها بالدور الفعال، فهو أمير وقائد حمداني، فيشكو تحكم الروم به تحكم الكلاب بالأسياد فيقول:"

إلـى الله أشْـكُـو أنّـنَـا بِـمَـنَـازِلٍ تـحـكـمُ فـي آسـادهـنَّ كـلابُ

تَمُرّ اللّيَـالي لَيْسَ للنّفْعِ مَوْضِـعٌ لـديَّ، ولا لـلـمـعـتـفـيـنَ جـنـابُ"[4]

وبهذا من الواضح أن العوامل التي أدت بالشعراء إلى السجن، كانت الضريبة التي دفعهاالشعراء بسبب تطور وازدهار دولة بني العباس، فشاع اللهو والمجون وشرب الخمر واكتظت قصور الخلفاء العباسيين بوسائل الحضارة والازدهار، من خمر ورقص وفسق والزندقة

[1] – عبد العزيز الحلفي، أدباء السجون–أدب العباسي، مطبعة الزهراء، (د.ط)، النجف، (د.ت)، ص137.

[2] –أبو فراس الحمداني، ديوان أبي فراس، رواية: أبي عبد الله الحسين ابن خلوية، تحقيق شرح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1922م، ص5.

[3] –أبو فراس الحمداني، ديوان، تح: سامي الدهان، ج2، المعهد الفرنسي، دمشق، 1944م، ص209.

[4] –المرجع نفسه، ج1، ص23.

والتمرد على الخلفاء وغيرها من العوامل، فكانت هذه الأخيرة نعمة على بعضهم ونقمة عاى كثيرين منهم.

فقد نتج عن هذا التطور تطور في الموضوعات القديمة واستحداث موضوعات جديدة اقتضتها الحياة الجديدة من بينها: الإستعطاف والإستغاثة والذي كان بارزا في شعر أبي فراس الحمداني يستعطف مولاه ويذكره بأمه

مضمون الشكوى والعتاب الذي كان شائعا بكثرة لدى الشعراء العباسيين.

ثالثا-موضوعات أدب السجون:

فالملاحظ أن أهم الموضوعات التي غلبت علي شعر السجون وصف الحياة اليومية فيها وتصوير ماكتنفها من أحاسيس وعواطف وهواجس، وافكار يفيض بها خاطر الشاعر الأسير الذي حاول الهروب من ظلمة السجن وابعاده المؤلمة من خلال كتاباته الشعرية والسرح بخياله البعيد لتجاوز مرارة السجن .

انطلاقا من هذا المنطلق تطرق شعر السجون عبر مسيرته لمجموعة من القضايا والمواضيع سواء تلك التي مست الشاعر السجين وتأثر بها، أو التي أصابت شعبه وتأثر بها الشاعر كذلك. مستعرضين الجوانب النفسية والعاطفية عند أولئك المساجين ووصفهم للحياة في السجون وتصويرهم لتلك المعتقلات.

1) الجوانب النفسية:

إذا كان الشعر هو ذلك "التجربة التي ينقلها لنا الشاعر في قالب شعري يعبر فيه عن خبرته النفسية حيث يقع تحت سيطرة مؤثر ما فيندمج فيه بوجدانه وفكره مستغرقا متأملا ثم يخرجه في إطار شعري ملائم معبرا عما يعانيه بصدق وبلا زيف"[1]. أما إذا خصصنا الحديث عن شعر السجون فهو شعر ولد وترعرع في ظلام جدران السجن، وهو كلام نابع من صميم زنازين مغلقة تحكي معاناة وعذاب السجين، فهو يحاكي وينقل لنا صورة حية عن حياة واقعية عاشت

[1] -واضح الصمد السجون وأثرها في الاداب العربية مرجع سبق ذكره ص 203

التجربة كاملة من حرمان الحرية والشوق للأهل والأحبة والحالة المزرية التي آل إليها من هزال وجوع ومرض. حيث يصور لنا الأسير حالته النفسية نتيجة أحزانه الكثيرة ومتاعبه التي لا تنتهي.

وكما أشرنا في مفهوم السجن انه يحمل دلالات سلب الحرية والإبتعادوالإنقطاع عن الوطن والأهل "ولهذا نجد الأسير يصف فيه آلام الفرقة ولوعة الغياب، هذه المعاناة والوحدة هي الدافع التي حركت ذات الشاعر في أرصفة الحياة الواقعية داخل السجن والتأملات الموغلة في أحلام الوحدة"[1].

وعليه فإن حياة الضغط والإرهاق داخل السجون والمنافي والمعتقلات قد أثرت في تكون شعر –له وجوده في الماضي– يصف فيه الشعراء أنفسهم من داخل السجون، أويصفون غيرهم ممن يعرفون أويتسامعون عن بطولاتهم داخل تلك السجون أو غيرها، ومنه يتصارع الشاعر مع نفسه، الآلام والآمال، ويناجيهابما يشفي غليله.

يحدث "الإعتقال الطويل قدرا كبيرا من التخريب الجسدي والمعنوي في ذات المعتقل، ولهذا يلجأ الأسير للكتابة للبوح بمشاعره ومايعانيه ولنقل تجربته كاملة، إلا أن دافع الكتابة لم يكن كافيا لإطفاء عطش الإنسانية والتخفيف من شدة الخراب الذي يثيره موضوع الأسر ذاته في بناء الذات الإنسانية ذلك أن الإنسان منذ أقدم العصور تعود على أن اعتبارات الموت والجنون والسجن من أشد المظاهر هولا وغواية، إننا نهوى مايرعبنا وننجذب له"[2].

نستطيع القول أن لأزمة السجن أثر كبير على السجين الإنسان، إذ أن تلك العقوبة القاسية التي تقوم على سلب الحرية، وهي أعزمايملكه البشر. وللسجن آثار بينة على جسد السجين ونفسيته وربما أثرت كذلك في فكره وقيمه وقناعاته، لذلك كانت تلك التجربة من بين أقسى

[1] –المرجع السابق، ص204.

[2] – نوال بن صالح، أبحاث في اللغة العربية والأدب الجزائري، هواجس البلاغة في أدب المحنة –مقاربة في نماذج من السيرة السجنية المغربية، مجلة المخبر، العدد 13، بسكرة، 2007م.

التجارب التي يبتلى بها البشر، ولما كان لها هذا الفعل الشديد انطلقت أحاسيس الأدباء من السجناء وتيقظت ملكاتهم وخطت أقلامهم ما اعتمرفي قلوبهم وأذهانهم.

تنوعت الأسباب المؤدية إلى دخول السجن بين أسباب سياسية وأمنية وأخرى حقوقية وكذلك جنائية. وبإعتبار السجن هو أداة من أدوات مكافحة الجريمة إنما يعد في ذاته عاملا لا يستهان به من عوامل عدوى الجريمة: فالسجن يعد وسيلة للإصلاح وإعادة التأهيل.

ويكفي "لإيضاح مساوئ عقوبة السجن أن تتأمل القطيعة التي تقع بين السجين والمجتمع وكما نلحظ كذلك أثر الحرمان من الأسرة ومايتبعه من متاعب التشرد والعوز والتحلل الخلقي والحرمان العاطفي

بالإضافة إلى مساوئ السجن نذكر القدوة السيئة وماينجر عنها من عيوب، لأنها تلقي السجين في مجتمع من نوع خاص هو مجتمع المذنبين"[1].

يبدو لنا من خلال تتعبنا لحبسيات الشعراء الأسرى "أن لغة الشكوى من ظروف السجن وسطوات السجان وحالات اليأس والقنوط قليلة إذا ماقورنت بحالات الأمل والتفاؤل والتصدي فقد واجه جل الشعراء هذه المعاملة القاسية بالصمود والتحدي، فكلما تمادى السجان في بطشه وطغيانه وتمادى السجين في صموده وتحديه وإصراره على موقفه"[2].

يعد السجن السبب الرئيسي في تردي الحالة النفسية للأسير إلى أقصى الحدود، فقد قادكثيرين إلى الجنون والانتحارداخل السجن أو خارجه. لقد شكل الخوف من الجنون هاجسا لدى السجناء كلهم يقول في هذا الصدد موسى بطل (القوقعة): "يجب ألا أجن، كان هذا قراري منذ البداية، رغم ذلك كنت أحس أحيانا أني على حافة الجنون"[3] فالسجين كان عرضة للضرب والتعذيب مماقد يقوده إلى الجنون أو حتى الإنتحار.

---

[1] –أحمد كريز، كيف يكون السجن مؤسسة أصلاح !؟، الأمن والحياة، العدد 203، حلب، ربيع الثاني 1420هـ، ص64.

[2] – محمد صالح شريف عسكري ومرتضى زارع برمي، شعر السجون في الأدب العراقي المعاصر (الأعمال الشعرية لحسن السيد نموذجا)، دراسات في العلوم الإنسانية، 01، تاريخ الوصول: 1434/12/07، تاريخ القبول: 1435/04/08، العراق،2013م–2014م/1335هـ–1434هـ، ص104.

[3] – مصطفى خليفة، القوقعة (يوميات متلصص)، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط4، بيروت،2014م، ص111.

فالحالة النفسية للسجناء ظهرت في سلوكات عدة منها محاولة التخلص من فكرة الأمل وأنه لا توجد حياة غير حياة السجن، فلم يعد لديه قدرة الصراع على البقاء. إذ سلم بأمر وجوده في السجن وهذا ماقاده إلى الدخول في دائرة اليأس فقد الرغبة في التأمل والهروب ورغبته التي طالما انتظرها بفارغ الصبر وهي –إطلاق سراحه– والعيش بحرية.

تطرق شعر السجون عبر مسيرته لمجموعة من القضايا سواء تلك التي مست الشاعر السجين وتأثر بها أو التي أصابت شعبه وتأثر بها الشاعر كذلك. ويمكن إجمال هذه القضايا فيمايلي:

أ) وصف المعاناة ومظاهرها:

وصف الشعراء معاناتهم داخل السجون، ولافرق عندهم بين الليل والنهار مادامت الأبواب مغلقة وضوء الشمس لا يزاور زنازينهم، فالزمن عندهم متوقف والحال ثابت لا يطرأعليه أي تغيير فالأيام في السجن متشابهة.

وتبدأ المعاناة من أول اعتقال يخضع له الشاعر ويضع قدمه داخله وصولا إلى زنازينه، وفي كل ذلك تتغير حياته كاملة، وقد فقد حريته وفقد أهله وأصدقائه. فيدخل السجن في حالة نفسية حرجة تتراوح بين الكآبة واليأس والقنوط.

فالإحساس بمصادرة حرية الشاعر وجسده جعلته يحس نفسه أنه مهمش ومعرض للعنصرية، فيثور ويتمرد ويقول شعرا يعبر فيه عن الضغوط التي يتعرض لها. فسلاح السجين الوحيد داخل السجن هو الثورة بالقلم.

وتكبر المعاناة حين يرسم الشعراء " داخل سجون على حالة متناهية في السوء والإيذاء يلقى فيها كثير من المحبوسين هلاكا، لما فيه من الظلم والقذارة والوضع الصحي المتدهور، وكانت الروائح الخبيثة مناخا ملازما لها، وترتع فيه الحشرات وهوام الطير، وتورث مرض العضال والموت"[1].

[1] –أحمد مختار البرزة، الأسر والشعر في شعر العرب–تاريخ ودراسة، مؤسسة علوم القرآن، ط1، دمشق، 1975م، ص129.

من الواضح أن علاقة السجين بالسجان غالبا ماكانت سيئة، فالسجان هو الذي يقوم بعملية التعذيب فتنتج بينهما علاقة عداوة، وعليه فالسجان كانت لديه السلطة والقوة فهو يقوم بإخضاع السجين للقيام بمختلف الأعمال، وكذلك يعمل على التضييق عليه.

فهذه "المعاملة القاسية التي تعرض لها السجين من سجانه قد تدفع به إلى الانتقام من هذا الأخير وقد تصل به الدرجة إلى القتل كما سبق وأشرنا إلى قصة 'الكلابي' الذي قتل السجان"[1].

وقد عانى السجناء في أغلب روايات أدب السجون كثيرا من أشكال العذاب الجسدي، والأمراض والأوبئة التي نخرت عظامهم وأجسادهم، فعلى سبيل المثال كان السجين يتعرض للجلد من كثرة الضرب بالسياط، 'كما راح الشاعر الأسير يصف القيود والأغلال التي كانت تكبله في يديه ورجليه وهي قيود ثقيلة تؤلمهم وتؤرق مضجعهم عندالنوم. وكان هدبة بن خشرم العذري المسجون بتهمة القتل مقيد اليدين والرجلين مما يصعب عليه المشي يقول في هذا الصدد:"

وَلمَّـا دَخَلْـتُ السِّـــجْنَ يَـاأمَّ مـالـك ذَكَرتُـكِ والأطْرَافُ في حَلْقِ سَـــمرِ"[2]

يتضح لنا من خلال قول هدبة أن القيد كان يحده على النوم وحتى على المشي، وذلك بسبب ضيقه وثقله فإذا تحرك قعقع الحديد في ساقيه ومعصميه، فهذه السلاسل كانت تعيق حركته.

ب) الخوف من الموت:

تخلف نظرة الشعراء الأسرى للموت من شاعر إلى آخر فالبعض يتقبله بصدر رحب والبعض الآخر يحاول الفرار من هوله ورهبته فنجد مثلا من الشعراء من أطلق صرخات الا رتياع من الموت فتساقط مستسلما مخذولا ومنهم من أخذ ينوح، قال أبو الطمحان:"

أَلا عَـلِّـلانـي قَـبـلَ نَـوحِ الـنَـوائِـحِ، وَقَبـلَ شـــعور النَفسِ بَينَ الجَوانِحِ.

وَقَبلَ غَدٍ يا لَهفَ نَفســـي عَلى غَدٍ، إذا راحَ أَصـــحـابي وَلَســـتُ بِرائِحِ"[3]

---

[1] – ينظر: واضح الصمد، السجون وآثارها في الآداب العربية، ص204.

[2] – يحيى الجبوري، ديوان هدبة بن الخشرم، مصدر سبق ذكره، ص31.

[3] – المرجع نفسه، ص208.

لقد عبر الشعراء عن خوفهم من النهاية حتى أنهم تمنوا لو الزمن يتوقف ولا يطلع الصباح عليهم.فبالرغم من الأزمة النفسانية الحادة التي يتعرض لها من آلام وعذاب إلا أنه لا يزال متعلقا بالحياة ومتشبثا بها كتعلق الرضيع بأمه وخوفه من الموت الذي أصبح حتميا لا مفرمنه.

ينطبق الأمر نفسه على عبد يغوث الذي وقع أسير يوم الكلاب الثاني، حيث أيقن أن الموت حليفه لا جدوى من المكابرة فأنشد يقول:"

أحقًّا عبادَ اللهِ أنْ لستُ سامعًا نشيدَ الرِّعاءِ المُعْزِبينَ المَتاليا.

كأنِّيَ لم أركب جوادًا ولم أقلْ لخيليَ: كرِّي، نفِّسي عن رجاليا"[1]

يتضح لنا من خلال هذان البيتان أن عبد يغوث غير مصدق أنه سيموت فتوالت صرخاته المدوية التي تعبر عن إنهياره النفسي، فهو لم يتخيل نفسه أنه سيموت حيث ناشد عباد الله كي ينقضوه من هول الموت، فهو يشعر بالذل والهوان بخسرانه مكانته الاجتماعية وشماتة أعدائه فيه.

في مقابل ذلك نجد من الشعراء الأسرى من يتقبل الموت ويرضى بقضاء الله بعد أن بات خروجهم من السجن حلم لا يكاد يتحقق. فتأقلموا وعودوا أنفسهم أن الموت حليفهم لا محال وخير مثال على ذلك: هدبة بن خشرم العذري وآمنة بنت الشريد... وغيرهم آخرون.

فالموت هاجس كل الأحياء يتهددهم كل لحظة، ويبعث في نفوسهم الخوف والرعب، قبالرغم من صعوبة الموت وخوف الإنسان منه إلا أنه يحاول بكل قواه ألا يستسلم لليأس وأن يجاريه بكل مايملكه من قوة، فبالقلم استطاع الشعراء الأسرى أن يبقوا خالدين ممجدين بالرغم من موتهم وعدم وجودهم إلا أن تراثهم الفكري الذي تركوه وبطولاتهم التي خلدت تركت بصمة لا تمحى فأصبح شعرهم حديث العام والخاص متوارثا جيلا بعد جيل.

نستطيع القول أن التعذيب الذي كان يتعرض له السجين الأسير بنوعيه الجسدي والنفسي يؤدي في حالات كثيرة إلى الموت مثلا "كأن يوضع السجين في زنزانة لوحده ضيقة قذرة

[1] –المرجع السابق، ص ن.

لأغطية ولا حتى أكل"[1]. كل هذا يؤثر سلبا على نفسيته وعلى صحته من حانب آخر، كذلك التعرض للاغتصاب وخاصة عند النساء، التعذيب الجماعي مما يترك أثرا في نفوس الأسرى الآخرين، بالإضافة إلى أمكنة التحقيق ومختلف الطرق التي يتعاملون بها من أجل الوصول إلى الحقيقة.

أما فيما يخص التعذيب النفسي فهو مرتبط بالتعذيب الجسدي كحلق الشعر والحرمان من النوم والعزل في سجن انفرادي، أو حتى "ابتزاز السجين مثل: التهديد باعتقال أهله كماحدث الأمر مع هدبة بن خشرم عندما هرب فقد قام سعيد بن العاص باعتقال عمه وجميع أهله، وذلك لابتزاز هدبة ورذخه إلى تسليم نفسه، فلما سمع الأمر قام بتسليم نفسه كي لا يعرض أهله للهلاك"[2] .

في الأخير نستطيع القول أن مواقف الشعراء من الموت ونظرتهم إليها تتأرجح مابين اللوعة والرفض والتسليم والرضى بقضاء الله وقدره، وأن الموت تتساوى فيه الرؤوس، فلا فضل لغني على فقير ولا لمغرور ظن أنه مخلد إلى الأبد على غيره، حيث إن الموت سيشمل الأحياء جميعهم.

ج) هموم السجن:

يتخذ السجناء من الليل وسيلة للبوح بهمومهم وآلامهم التي يعيشونها داخل الدهاليز المظلمة والزنازين المغلقة، فهدوء الليل وسكينته يقوم بإحياء أوجاع الأسرى، فيدخلون في دائرة التفكير المفرط في الأهل والأصدقاء فتندفق مشاعر الحنين والاشتياق إليهم ويتبع ذلك حزن واضح ودموع تنزل من كثرة الوله والشوق، فتجد الشاعر يفكر بحال زوجته وأولاده من أين يعيشون وكيف يتصرفون وهو لم يترك لهم نقود تعيلهم على هذه المحنة، كذلك لهفته لرؤية أمه وأبوه العجوزان المتأثران على فقدان ولدهم حتى كادت الحسرة عليه أن تلقي بحذفهم .فالأسير يحس أن الليل طويل وأن الوقت لا يمر مما يزيده ألما، بالإضافة إلى صعوبة النوم ذلك أن الليل لا

[1] – مصطفى خليفة، القوقعة، مرجع سبق ذكره، ص270.

[2] – المصدر السابق، ص14.

ضوضاء ولا حركة فيه، فيجلس الشاعر يخاطب نفسه ويتخبط مع ذاته لوحده. فمن كثرة الهموم على الشاعر وتواليها فجأة وكأنها سلطت عليه كي لا ينام، حيث أصبح الشاعر يتمنى طلوع الفجر حتى يتخلص من هذه الكوابيس والهواجس .بالإضافة كذلك للألم الذي يتعرض له ويحسه جراء العذاب الذي يتلقاه في النهار من كثرة تعرض جسده للضرب. فنجد على سبيل المثال ' الفرزدق' يعبر عن أحاسيسه داخل السجن وكيف يقضي ليله يقول في هذا الصدد :"

أَبيـت أقـاســـي الليـل والقوم منهم مـعـي ســـــاهـر لا يـنـام ونُـوَّمُ"[1]

ونجد كذلك 'الأحوص' فمن كثرة شوقه لأهله وخلانه أصبحت الدموع تنهمر منه بغزارة بسبب وهنه وضعفه بعد أن طال سجنه يقول :"

وللعين أســـراب تفيض كـأنمـا تعل بكحل الصـــاب منها المدامع"[2]

من خلال ماتقدم من أقوال الشعراء يتضح لنا أن الفرزدق كان يعاني من الأرق والسهر وصعوبة النوم وهذا راجع لاسترجاع ذكرياته وإحيائها من جديد، كأنه يعيش هذه التجربة ولكن هذه المرة مقيد وداخل الزنزانة وليس حرا مطلقا ويشاركه هذه المحنة بعض المساجين الساهرين معه والبعض الآخر نيام، أما فيما يخص الأحوص من كثرة فراقه وولهه لأهله أصبحت الدموع رفيقته يعبر بها عما بداخله، فكانت الدموع وسيلة يعبر بها عن مايشعر به من ألم ولهفة وشوق ورغبة في ملاقاة أحبته والخروج من هذه الدهاليز المظلمة ومن هذه الكوابيس التي تخيم جدران الزنازين.

ومما لا شك فيه أن قدرات البشر على تحمل العذاب والآلام تختلف من إنسان إلى آخر فنجد على سبيل المثال 'القتال الكلابي' من كثرة الضجر والقسوة التي كان يتعرض لها داخل السجن والتي انعكست على نفسيته فقدم على مجازفة بقتل حارس السجن والهروب وذلك بعد نفاذ صبره وعدم قدرته على التحمل، وفي ذلك يقول :"

[1] –المرجع السابق، ص210.

[2] –المرجع نفسه، ص ن.

ولمـا رأيـتُ البـابَ قـد حِيـل دُونَـهُ وخِـفْـتُ لِـحـاقـاً مـن كـتـابٍ مُـؤَجَّـل
حملتُ عَلَى المكروهِ نفســاً شــريفةً إذا وُطِّـنَـتْ لـم تســتـقِـدْ لـلـتَّـذَلُّـلِ
فقُلتُ له والسَّــيفُ يَعْضِــب رأْسَــهُ أنــا ابنُ أبي التّيمــاءِ غيرُ المنحَّـل"[1]

في المقابل نجد الشاعر العذري "هدبة بن خشرم" الذي ظل مدة طويلة في السجن حوالي 3 سنوات، إلا أنه صبر لهذا البلاء الذي أصابه بكل قوته ورضي بقضاء الله وقدره، ثم يساق إلى الموت ويبقى على شموخه فيقول:"

ولســـت بمفراح إذا الـدهر ســـرني ولا جـازع من صـــرفـه المتقلـب"[2]

فبالرغم من الوقت الطويل الذي قضاه في السجن، بعد أن فشلت كل المحاولات في إخراجه منه أيقن أن الموت حليفه ولاسبيل للهروب، فبلغ اليأس منتهاه وأضحت نفسه مهيأة لملاقاة الموت لذلك كان شعره ينفض بالقوة والعنفوان.

أما بالنسبة للنساء الأسيرات فالأمر نفسه ينطبق عليهم، فبالرغم من عاطفة المرأة الجياشة فهي يغلب عليها طابع الرقة واللطافة وذلك راجع لطبيعتها الحنونة، إلا أنها في المواقف الصعاب تجدها تتحمل وتصبر لكل ما يصيبها من حزع ومصائب وخير مثال على ذلك 'آمنة بنت الشريد' فلما أرسل لها معاوية رأس زوجها وهي في السجن تمالكت أعصابها ورضت بنصيبها وحافظت على هدوئها فقالت للحارس ارجع به إلى معاوية فقل له:

"أيتم الله ولدك، وأوحش منك أهلك، ولاغفر لك ذنبك"[3].

فهي بهذا توكل أمرها لله يأخذ بثأرها من هذا الظالم المستبد. فآمنة لم تكن تخاف الموت في السجن ولكن وقع موت زوجها كان أشد عليها، فأصبح الموت والحياة عندها سيان، فكل ما كانت تملكه خسرته ولهذا قررت الانتقام من معاوية، وهذا دليل على اللامبالاة التي أصبحت تحياها بعد فقدان زوجها الذي كان كل شيء بالنسبة لها.

---

[1] –واضح الصمد، السجون وآثارها في السجون العربية، مرجع سبق ذكره، ص204.

[2] –المرجع نفسه، ص205.

[3] –المرجع نفسه، ص206.

شكل السجن تجربة قاهرة لكثير من الناس الذين ذاقوا مرارتها، ثم كتبوا لاحقا عن عوالم الجدران المطبقة والأبواب الموصدة، فاخرجوا لنا نتاح أدبي إبداعي متميز حاولوا من خلاله نقل تجربتهم داخل السجن من آمال وآلام ولوعة وفراق وشوق، وبهذا شكلت هذه الكتابات محاولة لكسر قيد الماضي الذي يظل السجين بين جدرانه. فالشاعر بطبيعته حالم يرسم لنفسه عالما خاصا، يحاول أن يصل بشعره وخياله إلى اختراق أفق توقعات الكائن البشري وذلك عن طريق نقل وتصوير تجربته الواقعية الأليمة ورسم معاناتهم وآلامهم والهموم والأحزان الذين يحسون بها جراء قيد حريتهم وسلبهم إياها.

كل هذه المعاناة والتعذيبات الذي مر بها الشاعر الأسير أثرت سلبا على حياته عامة وعلى حالته النفسية بشكل خاص حيث طغى اليأس والقنوط على نفسيته وخيم الحزن والهم عليها بعد أن فقد الأمل في نيل حريته.

د) الصبر والتوبة :

حديث السجناء عن الصبر كثير في ثنايا نتاجهم الأدبي، وهو كلام ينبثق من داخل كيان إنسان معذب واجه المخاطر والصعاب وتحدى كل الضغوطات التي تعرض لها وظل صامدا في وجه السجان الجلاد .فبالرغم من فقدان الشعراء المساجين الأمل في الحرية وتيقنهم أن الموت هو حليفهم، إلا أنهم لم يهابوه واستسلموا بالأمر الواقع ولم يخافوه ومن الشعراء الذين يعدون قدوة في الشجاعة والنضال في القتال هو ' أبو فراس الحمداني' فهو لم يخشه يوما فالموت –في نظره–هو ضريبة الشجاعة والشهامة، وهو مايرجوه ويتمناه، وهو أشرف من الموت في الذل والهوان، وفي ذلك يقول :"

ولكن أَنِفْتُ الموت في دار غربة بأيدي النصارى الغلف ميتن أكيد"[1]

وفي قصيدة أخرى يفضل أبو فراس الموت بكرامة على العيش بذل وإهانة، فيتمنى الموت كي يتخلص من نفسيات البشر المريضة التي تخلت عنه وهو في أشد محنته فيقول:"

[1] – الحمداني، ديوان أبي فراس الحمداني، ج1، مرجع سبق ذكره، ص78.

وَلم أرع للنَّفس الْكَرِيمَة خلة عَشِيَّة لم يعْطف عَليّ خَلِيل
وَلَكِن لقِيت الْمَوْت حَتَّى تركته وَفِيه وَفِي حد الحسام فلول
فإما حياة في فناه عزيزة وإما ممات في داره جميل"[1]

فأبي فراس الحمداني كان قدوة في النضال والشجاعة، فهو يؤكد أنه سينتهي به المطاف إلى الموت وأن الموت آت لا محالة، سواء كان أسير أم حرا، وليس في الموت خسارة بل ربح وفوز، فالكل سيموت سواء طال به العمر أوقصر.

يعد الظلم كذلك من المقومات التي ساعدت السجناء على بناء شخصية قوية وفذة أوبالأحرى صلبة لا تقاوم ولا تهتز، فتيقنوا أن الظلم لن يعمر طويلا والناس كلهم مصيرهم إلى المساواة ولوبعد حين.

والظلم في شعر هؤلاء متعدد الوجوه:سياسي، اجتماعي، اقتصادي وفكري.وكانت العبرة في نظرهم تكمن في النهاية في انتصار المظلوم وإبادة مصادر الظلم.

فهذا الشعر الذي ولد وترعرع في أحضان الظلم والاستبداد ليعبر عن معاناة وصمود الأسرى مهما طال الزمن، فهو شعر لايخل من الأمل والإنتظار.

ونستدل الآن بالشاعر العذري "هدبة بن خشرم" الذي أودع السجن بسبب قتل ابن عمه "زيادة" ولما مثل أمام الخليفة معاوية، أخذ يعرض عليه قضيته شعرا قال:"

فإن تك أموالنا لم نضق بها ذرعا، وإن صبر فنصبر للصبر"[2]

ويقول أيضا:"

لَعَمري لَئِن أَمسَيتُ في السِجنِ عانياً عَليَّ رَقيبٌ حارِسٌ مُتَقَوِّفُ.
إِذا سَبَّني أَغضَيتُ بَعدَ حَمِيَّةٍ وَقَد يَصبِرُ المَرءُ الكَريمُ فَيَعرِفُ"[3]

---

[1] – المرجع السابق، ص79.

[2] – هدبة بن الخشرم العذري، ديوانه، ص104.

[3] – ينظر: واضح الصمد، السجون وآثارها في السجون العربية، ص212.

فالشاعر هدبة يقر أن لاخيار أمامه إلا الصبر والتحمل، وذلك بعد أن باءت كل محاولات إخراجه بالفشل ولذلك بقي صامدا وعود نفسه على المكافحة وعدم الاستسلام والتأقلم مع الحياة الجديدة بحلوها ومرها.

فحياة الضغط والإرهاق الذي عاشها الشعراء والمعاناة التي قاسوها من الإيذاء وحتى التعرض للأمراض والأوبئة بمختلف أنواعها، والتعذيب الذي يتعرضون له من قبل الجلادين، كل هذا وذاك أدى إلى بناء شخصية قوية وصلبة تتحدى الصعاب، وهذه الأخيرة كان مصدرها الصبر والقدرة على التحمل والصمود في وجه العدو الظالم، فأصبح الشاعر يتخذ من قلمه وسيلة لمقاومة الظلم والاستبداد معبرا بذلك عن رفضه لكل أشكال العبودية فهو كالطير لا يمكنه أن يعيش في قفص مغلق.

أما فيما يخص جانب التوبة الذي يتضمن ندم السجين على فعلته التي أوصلته إلى هذه الزنزانة المغلقة فخير مثال على ذلك "هدبة بن خشرم" الذي أقر وندم على فعلته –قتل ابن عمه زيادة– فهو تصرف ناتج عن بطشه وتسرعه في إتخاذ قرار القتل وعدم التأني في فهم خبايا حكايته مع ابن عمه، هذا التسرع والانفعال والغضب الذي شعر به هدبة وأن ابن عمه يزجر بأخته جعله لا يرى أمامه، فاشتد الخصام بينهما وكان نتاج هذا النزاع ارتكاب جريمة شناع في حق ابن عمه وحتى في حق نفسه وعائلته مما أدى به إلى المكوث في السجن مدة طويلة، يقول شاكيا لله حاله:"

أَذا العَرشِ إنّي مُسلِمٌ بِكَ عائِذٌ ... مِنَ النارِ ذو بَثٍّ إلَيكَ فَقيرُ.

بَغيضٌ إليَّ الظُلمُ ما لَم أُصَب بِهِ ... مِنَ الظُلمِ مَشعوفُ الفؤادِ نَفيرُ

وإنّي وإن قالوا أَميرٌ وَتابِعٌ ... وَحُرّاسُ أَبوابٍ لَهُنَّ صَريرُ

لأَعلَمُ أَنَّ الأَمرَ أَمرُكَ إن تَدِن ... فَرَبٌّ وَإن تَغفِر فأَنتَ غَفورُ"[1]

[1] – المصدر السابق، ص91.

فهدبة يقر بخطئه وندمه الشديد لفعلته الشنعاء ويطلب من الله العفو، فهو الغفور الرحيم، ويشكو لله حاله في السجن فنلمس من خلال قوله توبته الصادقة النابعة عن صدق إيمانه بالله عزوجل. فشعوره بالذنب أدى به إلى محاسبة نفسه وتأنيبها مما قاده إلى طلب المغفرة من الله.

من الشعراء اللصوص وقطاع الطرق المساجين نجد "جحدر العكلي" الذي أخذ درسا من تجربته في السجن أعادته إلى نقاء فطرته يقول:"

إنّـي دَعَـوتُـكَ يـا إلَـهَ مُـحَـمَّـدٍ دَعـوى فَـأَوَّلُـهـا لِـيَ اِسـتِـغـفـارُ

لِتُجيرَني مِن شَـرِّ مـا أَنـا خـائِفٌ رَبَّ الـبَـرِيَّـةِ لَـيـسَ مِـثـلَـكَ جـارُ

تَقضـي وَلا يُقضـى عَلَيـكَ وَإِنَّمـا رَبّـي بِـعِـلـمِـكَ تَـنـزِلُ الأَقـدارُ"[1]

نستخلص من قول جحدر العكلي أنه نادما لفعلته فهو يطلب المغفرة من الله عزوجل طالبا عفوه عنه فهو خائف من الشر الذي سيلاقيه والعقاب الذي سيناله.

فالتوبة تعد وسيلة لتطهير الإنسان من الظلمات، كما تمتد لحماية الجماعة وخاصة الخاطئين ليستقيموا ويرجعوا إلى الطريق السوي ويكفو عن ارتكاب الذنوب فهي يقظة الضمير.

كانت هذه أهم الموضوعات والجوانب الذاتية النفسية التي استنتجناها من خلال أدب السجون التي تراوح تأثيرها بين السلب والإيجاب والتي من أهمها: العجز عن التكيف والتأقلم مع بيئة السجن، تفكير المسجون في مصيره ومصير أبنائه، الرغبة في إلحاق الأذى بالنفس وآثار أخرى صحية كإصابة السجين بالأمراض والأوبئة بالإضافة إلى مشاكل أخرى كاضطراب في النوم والحزن والخوف والقلق...الخ.

2) الجوانب العاطفية:

ينقطع السجين عن العالم الخارجي وينطوي على أحزانه فتتوالد عنده الهموم والآلام، والحنين والأشواق فتتأرجح نفسيته بين الأمل والرجاء من جهة والقنوط واليأس من جهة أخرى فكان سلاح الشاعر هو شعره ليعبر به عما يخالجه من أحاسيس، فالشاعر في فترة سجنه تجده مضطرب المشاعر ويعيش فترة حرمان عاطفي نتيجة غياب أهله وأحبته وأخلته عليه.

[1] – المرجع السابق، ص213.

ومن أهم الجوانب العاطفية التي كثر الحديث عنها في أدب السجون مايلي:

أ) الأمل واليأس:

يعد الأمل واليأس قضيتان متناقضتان يحسهما الشاعر فترة سجنه، حيث تتراوح أحاسيسه بين الحديث عن الأمل والذكريات والحنين إلى الأهل، وبين اليأس الذي يخيم عليه.

فتقلب الشعراء بين الأمل والرجاء بانقضاء محنتهم، وبين اليأس والاستسلام للقدر الذي وقع وعليه فعلى الإنسان ألا يطمئن إلى الزمان ولا يركن إليه لأن الزمان كثير التقلب، كثير الغدر ليس له صاحب.

فالشاعر "خلف الجدران والأبواب المحكمة الإغلاق يحلم بالحرية والانطلاق من قيود السجن، ممنيا نفسه بالخلاص متشوقا ليستعيد ذكرياته وأيامه الجميلة مع أمه، وزوجته، فمحنته كبيرة وأحزانه عظيمة فلم يجد في كربته هذه إلا الصبر على محنته"[1].

وكما سبق لنا الذكر أن الشاعر العذري هدبة بن خشرم كان يعيش حياته داخل السجن آملا في الخروج منه وفك قيوده والعودة إلى كنف عائلته، وبعد أن فقد الأمل من الخروج دب اليأس داخله وأصبح أنيسه إلا أنه دوام الحال من المحال.فبمرور الوقت تغيرت نظرته وتقبل الوضع الذي آل إليه أو بالأحرى تقبل موته ورضى بقضاء الله.

ونجد كذلك "عدي بن زيد" عاش فترات قلقة من الاضطرابات النفسية بين الأمل واليأس فقد قال:

وَاذهَبي يـا أُمَيمَ إِن يَشَـــإِ اللَـهُ يُـنَـفِّـس مِـن أَزمِ هَـذا الـخِـنـاقِ
أَو تَكُن وُجهَـةٌ فَتِلـكَ سَـبيـلُ النـا س لا تَـمـنَـعُ الـحُـتـوفَ الـرَواقـي[2]

[1] – محمد صالح شريف عسكري، شعر السجون في الأدب العراقي المعاصر (الأعمال الشعرية لحسن السيد نموذجا)، مرجع سبق ذكره، ص104.

[2] –واضح الصمد، السجون وآثارها في الآداب العربو، مرجع سبق ذكره، ص215.

اليأس يرافق الشاعر في السجن دائما وهذا من طبيعة السجن، لأن السجن يحبس فكرة المسجون ويمزق أمنياته ومستقبله قبل كل شيء، وتقف القيود حاجزا دون طموحاته العظيمة وفي هذه الحالة يصاب السجين يالإحباط واليأس.

فالشاعر خلف الجدران لا أحد يسمع صوته فخابت آماله، بالإضافة إلى ذلك مصيرهم المجهول فهناك من الشعراء من لايعرفون أهلهم حتى مكان جثتهم.

إن الإحساس بمصادرة حرية الشاعر وجسده تعتبر الخطوة الأولى لبداية معاناة الشاعر فهذه المصادرة تتبعها تغيرات تطرأ على حياة السجين عامة وعلى أهله خاصة، ومن هنا تتسرب الكآبة والبؤس واليأس إلى نفسه.

ب)الحنين والأشواق:

يمكننا القول أن أقسى شعور يعيشه السجين، بعد الشعور بآلام التعذيب هو الشعور بآلام الفراق والبعد، وهذا النوع من الشعور لا يخلوغالبا من الميل إلى الحزن والتالم، كما لايخلو من نسائم الأمل بالعودة، أو تسجييل خطرات النفس في هواجسها ودمعات المقل في أنسابهاوزفرات الشوق في تصعيدها.

فالحنين "هو شعر غنائي يصف مايغشى الإنسان من حزن وذبول عندما يبتعد عن وطنه أو عندما يتذكر ماضيه الجميل، وهذا الشعر يصور لك المرحلة التي يقوم بها الشاعر في الزمان المنصرم، مسترجعا ذلك الزمن، مستحضرا إياه بمكانه وأهله وأحداثه"[1]

وللشوق نصيب وافر من قصائد شعر السجون التي عبروا بها عن ضمائرهم وأحاسيسهم المكبوتة، فكانت تلك الأشواق صدى الذكريات الباقيةالتي تشدهم إلى الماضي الجميل إلى الأهل والأبناء والإخوة والأحبة وحتى الأصدقاء...الخ.

فمن الشعراء الذين تشوقوا وحنوا إلى أحبتهم الشاعر 'الأحوص' الذي سجن في عمان يقول:"

[1] – محمد بن أحمد دقالي، الحنين في الشعر الأندلسي في القرن السابع هجري، دار الوفاء، ط2، الاسكندرية، 2008م، ص26.

أَقُولُ بِعَمّانٍ وَهَلْ طَرَبِي بِهِ إلى أهلِ سلعٍ إنْ تشوَّفتُ نافعُ
أَصَاحِ، أَلَمْ تَحْزُنْكَ رِيحٌ مَرِيضَةٌ وبرقٌ تلالا بالعقيقينِ لامعُ
وَكَيفَ اشتِياقُ المَرءِ يَبكي صَبابَةً إلى مَن نأَى عَن دارِهِ وَهوَ طائِعُ
لعَمرُ ابنَةِ الزَيديِّ إنَّ ادِّكارَها عَلى كُلِّ حالٍ لِلفُؤادِ لَرائِعُ
أَهُمُّ لأَنسَى ذِكرَها فَيَشوقُني رِفاقٌ إلى أَهلِ الحِجازِ نَوازِعُ"[1]

فالشوق والحنين ينزعانه من مكانه الذي هو فيه ويقتلعانه ليردانه إلى أهله ووطنه.

ففي التشوق إلى الأهل يبرز الحنين إلى الأحبة في أشعار السجناء، فالشاعر الأب لا يعيش فقط مشاعر الشوق إلى أولاده بل يعيش آلامه نتيجة الفراق، كما أنه لا يعيش آلامه فقط بل يعيش الاما مضاعفة، الام الشعور بفراق أولاده من جهة وألم رؤيتهم يشقون في حياتهم من بعده من جهة أخرى.

ولهذا نجد أن الشوق والحنين قد كثر بث معانيه في قصائد السجن والأسر، ولم لا، فالشعراء في غربة موحشة وظلمة قاتلة، يعانون آلامها وأوجاعها، ويعيشون في الوحدة والفراغ الذي يجعلهم يتمنون الموت بكرامة على العيش بذلة، فيكون راحة لهم من هذه الوحدة القاسية.

ومن الشعراء من ترك خلفه أما ثكلى تبكيه في كل يوم، ويرتجف قلبها شوقا وخوفا على فلذة كبدها ألا وهو الشاعر 'أبوفراس الحمداني' فيرسل برسالة إلى سيف الدولة الحمداني يتمنى فيها الموت يقول:"

قَد عَذُبَ المَوتُ بِأَفواهِنا وَالمَوتُ خَيرٌ مِن مَقامِ الذَليلِ
إِنّا إِلى اللَهِ لِما نابَنا وَفي سَبيلِ اللَهِ خَيرِ السَبيلِ"[2]

فالشاعر يحن إلى وطنه وأرضه وإلى أمه التي وهب حياته لخدمتها والتذلل لطاعتها، فهو يتمنى الموت بكرامة على العيش في الذل والهوان.

[1] – المرجع السابق، ص216.

[2] – الحمداني، ديوان أبي فراس الحمداني، مرجع سبق ذكره، ج2، ص334.

فالحنين والشوق ناتج عن صدق الشاعر في شعره وإحساسه الصادق، ولهذا نجد أشعارهم تفيض بالشوق والحنين إلى الوطن، والألم والعذاب بسبب غربتهم وبعدهم عن أوطانهم وأهلهم. فخلد لنا هؤلاء الشعراء الأسرى شعرا يتميز بصدق العاطفة وفيض الشعور، وعمق التجربة ورهافة الحس، والانفعالات الإنسانية الفياضة.

الفصل الثاني:

أثر الغزل العذري في ظاهرة الشوق عند الشاعر

الفصل الثاني: أثر الغزل العذري في ظاهرة الشوق عند الشاعر

أولا–مفهوم الغزل العذري ونشأته:

1) العذرية لغة

2) العذرية اصطلاحا

3) الغزل البدوي العفيف

ثانيا–خصائص الغزل العذري

ثالثا–موضوعات الغزل العذري بين الجاهلية والإسلام

رابعا–أثر الغزل العذري في شعر هدبة بن الخشرم:

1) المعجم الشعري:

أ) اللغة:

ب) الأسلوب:

خامسا–أسلوب أدب السجون:

1) بنية المقطعات

2) المطالع

3) الألفاظ والتراكيب

4) الصور

أولا-مفهوم الغزل العذري ونشأته:

الغزل هونوع من أنواع الشعر الذي يكون موضوعه الرئيسي هو التغني بالحبيبة، وذكر محاسنها المعنوية. فلقد احتل مكانة مرموقة وكبيرة منذ العصر الجاهلي، فنجده دائما حاضرا في قصائد الشعراء، فلا تكاد قصيدة تخلو من التغزل بجمال وحسن المحبوبة، ونراه واضحا في المقدمة الطللية التي يستهل الشاعر بها قصيدته قبل البدء بغرضه الرئيسي ذاكرا أيام الحب الذي أضنى قلبه شوقا وحنينا للمحبوبة، وعن ألم الفراق وصعوبة اللقاء بينهما.

إذ "يعد الغزل من أهم الأغراض الشعرية البارزة في العصر الجاهلي والذي يعنى بالتحدث عن النساء ووصف مايراود الشاعر من صبابة وشوق وهيام، وقد طغى هذا الغرض على الشعراء فأصبحوا يصدرون قصائدهم بالغزل لما فيه من تنشيط للشاعر واندفاعه في قول الشعر، ولما فيه من تنشيط للمستمع لذلك الشعر"[1].

وعليه نستطيع القول إن الغزل هو الشعر الذي يصور فيه الشاعر شوقه وإحساسه تجاه المرأة وما أصابه من آلام لفراق محبوبته وصعوبة لقائها وبعدها عنه.

فبهذا نستطيع الإجماع على أن "ظاهرة العذرية موجودة منذ القدم كإرتباط جميل ببثينة وعنترة بعبلى والمجنون بليلى إلا أن هذا الأخير شككوا في أخباره وقصته وهذا ماأكده 'أبي الفرج الأصفهاني' في 'الأغاني' فيشير في ترجمته للمجنون منذ البداية إلى الاختلاف في إسمه ووجوده التاريخي بسبب تعدد الأسماء لشخصه، بل هناك من الروايات التي تذهب إلى حد نفي وجوده"[2].

ولكن على الرغم من تضارب الأخبار والروايات حول شخصيات العذريين إلا أنها لا تنفي وجود الظاهرة في عمومها، وإنما شككت في أخبار شعرائها، وبذلك فهي تثبت الوجود التاريخي للظاهرة أكثر مما تنفيه.

---

[1] – عبد العزيز محمد الفيصل، الأدب العربي وتاريخه، المكتبة العربية السعودية، ط1، 1305هـ، ص64.

[2] –الأصفهاني، الأغاني، تح: سمير جابر، دار الفكر، ط2، بيروت، (د.ت)، ص8–10.

أما فيما يخص وجود هذه الظاهرة في العصر الحديث، فنجد 'طه حسين' من أبرز الدارسون وأولهم في العصر الحديث الذين عنوا بالبحث في نشأة الظاهرة العذرية، إذ يرجع وجودها وتكونها في باديةالحجاز إلى السياسة الأموية تجاه الحجاز، فقد أساء خلفاء الشام ظنهم ببلاد العرب فعاملوهم معاملة قاسية لا تخلو من العنف.

فطه حسين"يرى أن البوادي كانت مهدا للظاهرة العذرية لما فيها من فقر وبأس وحرمان، وهو الشعر الذي شاع في البلاد العربية في الحجاز ونجد والذي يصور الطموح إلى ماليس له سبيل والنزوع إلى مالا أمل في الوصول إليه، وهو ماتعودنا أن نسميه الغزل العذري"([1]).

فالحب العذري حسب رأي طه حسين "لا يصور حبا يائسا بالفعل وإنما يصور اليأس العام، اليأس من الوصول إلى ماكان الأغنياء والمترفون يصلون إليه مصبحين وممسين"[(2)].

ينقسم الدارسون في نشأة الظاهرة العذرية إلى قسمين، "قسم يرى أنه أموي النشأة وأنه من المستحيل أن يظهر بطهارته وقدسيته قبل عصر بني أمية."[(3)] وقسم آخر يرى أن أصوله مشتقة من مقدمات وقصائد وجدت في الشعر الجاهلي. وهذا الرأي الأقرب إلى الصواب.

يرى أحد الباحثين "أن الغزل العذري لم ينشأفي العصر الإسلامي، ولم يصر فنا مستقلا في العصر الإسلامي، وإنما نشأ، وكان فنا مستقلا في العصر الجاهلي. ولكن هذا لايمنع من الإقرار بأن الحياة الإسلامية مشجعة على عفة الحب وعذرية الغزل، لأن الإسلام نظم علاقة الرجال بالنساء، وحظر الإستجابة للغريزة الجنسية إلا عن طريق الزواج، وحرم البغاء وسما بالعقيدة والأخلاق، فكان منميا للحب العذري لا منشأ لها"[(4)].

يمكن لنا أن نقول إن الظاهرة العذرية ليست وليدة العصر الأموي، وإنما كانت لهاإرهاصات قبل هذه المدة، وأن اكتمال صورتها في هذه الحقبة دليل على أن جذورها سابقة لأنه من غير الممكن أن تولد واقفة بغير إرهاصات سابقة لها، لأننا نجد في الشعر الجاهلي قصائد

---

[1] – طه حسين، حديث الأربعاء، ج1، دار المعارف، ط11، مصر، ص183.

[2] –المرجع نفسه، ص190.

[3] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، المرجع نفسه، ط2، 1427هـ، ص359–361.

[4] –أحمد محمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، دار القلم، بيروت–لبنان، 1381هـ /1961م، ص181.

ومقطوعات عبر فيها شعراؤها عن وجدهم وأشواقهم الروحية أكثر ما عبروا عن رغباتهم الحسية.

وقد عرف الحجاز نوعين من الغزل، اختلفت مسمياتهما وطريقة تناول وصف المرأة في كل منهما وإن كان لا يوجد "فارق بين النوعين لا في البعث، لا في الباعث عليه، ولا في المراد بهما"[1].

أحدهما شاع في البادية واصطلح عليه تسمية "الغزل العذري" المحافظ، والذي لا يبرز مفاتن المرأة الجسدية بقدر مايبرز صفاتها المعنوية، أما الآخر ويسمى "الغزل الحسي" او الصريح أو الحضري، وهو الذي لايتورع عن وصف المرأة حسيا ويصف فرص اللقاء بين المرأة والرجل، ولا يقتصر على محبوبة واحدة كما عهد عند العذريين. لكنه وصف لا يتجاوز الحدود ولايخرج عما عرف عن المجتمع الإسلامي من عفة وحياء وقد شهد بذلك 'طه حسين' حين قال: "وأحب أن تلاحظ معي أن هذه الحياة الحلوة الظريفة من الأدب الأموي ومن الحضارة الأموية ظلت نقية وطاهرة بريئة من الإثم والفواحش إلى حد ما، احتفظ بها الحجاز"[2].

إذن فالغزل العذري كانت تحكمه حياة نفسية تميزت بالصفاء والعفة والسمو في المشاعر فكانت تغلب على هذا الغزل أشواق روحية أكثر منها رغبات جسدية فهو ليس روحي صرف ولكنه تتخلله بعض الشوائب الجسدية.

فـ"الحب العذري لا يخرج أن يكون صراعا بين الجسد والروح يتحول في نفس العاشق – لأسباب شخصية أو اجتماعية أو اقتصادية– إلى رغبات مكبوتة، وهي رغبات كل العشاق العذريون يتسامون بها فوق الغرائز ويترفعون بها فوق مستوى الشهوات، ويستعلون بها فوق رغبات الجسد"[3].

---

[1] – علي النجدي ناصف، القصة في الشعر العربي إلى أوائل القرن الثاني الهجري، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص39.

[2] – طه حسين، حديث الأربعاء، مرجع سبق ذكره، ط14، ص242.

[3] – يوسف خليف، الحب المثالي عند العرب، تر: مطاع صفدي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، القاهرة، 1961م، ص44.

وبعد كل ماسبق ذكره نستنتج أن الغزل يصور عمق المشاعر الوجدانية، وقوةالعواطف فيه وهوغزل مترفع عن الدنايا والابتذال والانحراف. فهذا الغزل العذري وليد ثمرة للقيم الأخلاقية والروحية التي بعث بها الإسلام في البادية العربية، والتي وصفت نفوس الشعراء العذريين وجعلت عشقهم يميل إلى البراءة والطهر والعفة.

طرق الشعراء العذريون بين الجاهلية والإسلام- كالمرقش الأكبر، وجميل بثينة وهدبة بن الخشرم- والذي هو موضوع دراستنا وغيرهم الكثير من الموضوعات وخففوا من خلالها عن أنفاسهم المكبوتة وعواطفهم المقموعة، وتكاد تكون قصصهم سواء كانت في العصر الجاهلي أو في صدر الإسلام أو الأموي واحدة ومعظم الموضوعات جاءت متشابهة مع تفاوت في بعضها.

من خلال ماتقدم سابقا يتبين لنا أن الشاعر العذري هدبة من الشعراء الذين عانوا من لوعة الحب -وخاصة- في الفترة التي قضاها في السجن وهي ليست بمدة قصيرة، حيث تراوحت بين ثلاثة سنوات أوسبعة سنوات على حسب اختلاف الروايات، فكان لهذا الغزل أثر بالغ على شعره، حيث أجمع أغلبية الأدباء والنقاد على أنه أجمل ماقيله كان في السجن، لأنه نابع من تجربة صادقة وإحساس عميق وعاطفة جياشة فينقل لنا صورة حقيقية عما يعانيه من ألم الفراق والبعد عن حبيبته ورفيقة دربه، فهي كانت سند له في الشدائد والأفراح، وظهرت على قدر من الخلق الحميد، فقد حفظته في غيابه أكثر من حضوره، وهي مطيعة له وكاتمة لأسراره، وصابرة على فراقه لمدة طويلة وتحملت أهوال الزمان، فعاشت مرارة أسره وحزنت لهول ماسمعته ومن نظرة الشفقة التي كانت تلاحقها ممن حولها.

كل هذه الصفات التي تحلت بها المرأة العربية من التزام وعفة وآداء مناسك الحج وتمسكها بدينها ليست بالأمر الغريب علينا لأنه ناتج عن الثقافة الإسلامية التي تحلى بها الشعراء العذريين لقوله تعالى: "يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم الذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً"[1].

[1] – سورة النساء، الآية 1.

فالإسلام كرم المرأة ورفع من شأنها وقرنها بالرجل في معظم الآيات القرآنية لقوله عز وجل: "**هُوَ الذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**"[1].

وعليه ونظرا لهذه المرتبة التي أعطاها الله تعالى للمرأة واعتبرها أنها مكمل للرجل وكرمها بعد أن كانت توؤد وهي حية وأعطاها حقها في الميراث، فما كان على الشعراء إلا الحذو على طريق الإسلام، فأكرموا نساءهم وأحبوهم حبا جما وآتوهم بما أمرهم الله به.

من المعروف أن الإسلام قد هذب كثيرا من مشاعر اتباعه، وطهر نفوسهم من اللهو والمجون والترف الذي كان يحياه الإنسان والشاعر بالأخص ونزه ألسنتهم عن الفواحش، وصنع جيلا من الشباب المؤمن الطاهر العفيف، البعيد عن كل ألوان الفساد.

فكانت بادية 'الحجاز' و'نجد' المنشأ الأول لمثل هذه القيم السامية التي نبعت في ظل التربية الإسلامية. فكان الحب العذري أثرا لهذه التربية وصدى لتعاليم الإسلام، التي غرست الطهر والفضيلة والعفاف في نفوس هؤلاء العذريين.

وقد اختصت بوادي الحجاز بهذا اللون من الحب لأنها موطن المثل والتقاليد البدوية بالإضافة إلى كونها الأرض التي يقطنها أبناء الجيل الذي أنشاهم الصحابة والتابعون.

نجد أن معظم الباحثين عللوا ظاهرة الحب العذري (العفيف) وربطوها بالإسلام والأثر الذي تركه داخلهم ونجد 'شوقي ضيف' من مؤيدي هذا الرأي فقال: "ولا شك في أن تفسير موجة الغزل العذري يرجع إلى الإسلام الذي طهر النفوس وبرأها من كل إثم وكانت نفوس أهل بوادي نجد والحجاز ساذجة لم تعرف الحياة المتحضرة في مكة والمدينة، ولا ما يطوي فيها من لهو وعبث ومن تحلل أحيانا من قوانين الخلق الفاضل"[2].

ويقرر الدكتور 'غنيمي هلال' أثر الإسلام في نشأة هذا الغزل فيقول: "كان للدين تأثير في هذا الحب وطبعه بطابعه فلم يكن ذلك النوع من الحب ليوجد لو لم يغز قلوبا عامرة بالعقيدة

---

[1] – سورة الأعراف، الآية 189.

[2] – ينظر: شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص359.

المؤمنة بالروح وبالدار الآخرة، تعتنق فضيلة الزهد، وتؤمن بجهاد النفس، وتنتظر الثواب على العفاف في الحب"[1].

يتضح لنا مما سبق أن الإسلام قد ترك بصمات واضحة في أشعار الشعراء العذريين ويتجلى ذلك من خلال تهذيبهم الألفاظ وفي طريقة تفكيرهم وتصوراتهم، فهم يرون أن الحب هو قدر من الله مكتوب ولا يستطيعون رده، بالإضافة إلى ايمانهم بقضاء الله وقدره وصبرهم على ماينزل بهم من مصائب.

يعد الغزل من الموضوعات الشعرية التي كثر النظم فيها، وهو من أقدم الأغراض الشعرية التي أبدع فيها الشعراء، لأن أول ماوجد الإنسان أمامه نصف من كيانه يشاركه الحياة جنبا إلى جنب، فراح الإنسان يبحث عن إرضائها بالكلمة الرقيقة متوددا إليها، واصفاجمالها الساحر، وتطور هذا الحديث حتى أصبح غرضا شعريا يصدر من أعماق الشاعر، فاحتل هذا الغرض المكانة الأهم من بين الأغراض الشعرية الأخرى.

1) العذرية لغة:

جاء في المعجم الوسيط قولهم:"(هوى عذري: عفيف، نسبة إلى بني عذرة، لاشتهارهم به" [2].

وقد ورد فيلسان العرب: (والعذرة: نجم إذا طلع اشتد غم الحر، وهي تطلع بعد الشعرى... وتعذر الأمر: عدم استقامته، أي صعوبته وتعسره... والقدرة: البكارة، وجارية عذراء: بكر لم يمسها رجل...)[3].

يتضح مما سبق أن مادة عذر تجمع أكثر من معنى فهي تأتي من العفة وتأخذ معنى المرأة العذراء التي لم يمسسها رجل، وكذلك نسبة إلى قبيلة عذرة.

---

[1] – سامي مكي العاني، الإسلام والشعر، عالم المعرفة، (د.ط)، الكويت، 1996، ص100.

[2] – المعجم الوسيط، أخرجه: ابراهيم مصطفى وحامد عبد القادر وآخرون،

ج: مجمع الغة العربية، القاهرة، 1381هـ /1961م، ص596.

[3] – ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة[عذر]، طبع ونشر وتوزيع دار الحديث، القاهرة، 1424هـ-2003م.

2) العذرية اصطلاحا:

وأمافي الاصطلاح، "فإن لفظةالعذري نسبة إلى بني عذرة كما ورد في المعاجم وهي قبيلة من اليمن يرتد نسبها إلى قضاعة"[1].

"ويبدو أن هذه التسمية –أي تسمية هذا الغزل بالعذري– هي تسمية حديثة أطلقها الدارسون والنقاد المحدثون على هذا النمط من الحب الذي مثله ذلك الغزل الذي عرف بعفته ونزاهته، وصدقه وأما القدماء فلم يؤثر عنهم مصطلح الغزل العذري العفيف"[2].

وبعد أن تعرفنا على لفظة العذري لغة واصطلاحا نستخلص مما سبق ذكره أن الغزل العذري هو لون من ألوان الغزل عرفه العرب في الجاهلية إلا أنه لم يكتسب ثباته ورسوخ معالمه واستقلاله فنا شعريا إلا في العصر الأموي، حيث برز من قبيلة عذرة شعراء مارسوا هذا الفن واقتصروا عليه حتى نسب إليهم وسمي بهم. "وهو شعور يصور في غالبه أحاسيس مجردة في الحب تعبر هن حالات شعورية متقاربة من الشوق والوجدان والحرمان والذكريات والأمنيات، وتشيع فيه حرارة العاطفة التي تصور خلجات النفس وفرحة اللقاء وآلام الفراق ويقتصر فيه الشاعر على محبوبة واحدة طوال حياته"[3]. وبسبب ذلك ارتبط اسم كل شاعر بحبيبته وصارا متلازمين، على سبيل الذكر:'عنترة وعبلة' وكذلك 'مجنون ليلى' وآخرون...

يشير "ابن قتيبة" في كتابه "الشعر والشعراء" إلى مفهوم الغزل في قوله:"وهو قريب من النفس، لائط بالقلوب، لما (قد) جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، وألف النساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب، وضاربا فيه بسهم، حلال أو حرام"[4].

---

[1] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، مرجع سبق ذكره، ص359.

[2] – نضال ابراهيم ياسين، العفة في الغزل العذري بين الحقيقة والوهم، مركز دراسات الخليج العربي، 1430هـ/2009م، ص3.

[3] – عبد القادر قط، في الشعر الإسلاميوالأموي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1979م، ص133

[4] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، دار الثقافة، لبنان–بيروت، 1964م، ص21.

نستخلص من قول ابن قتيبة أن الغزل مرتبط بالطبيعة الإنسانية، فهو غزل عفيف طاهر يصور فيه الشاعر مشاعره وعواطفه تجاه محبوبته، فالحب فطرة وملكة في نفس كل إنسان، فلا أحد يدعي السلامة من الوقوع في الحب سواء كان ذلك عن طريق الحلال أو الحرام.

3) الغزل البدوي العفيف:

أومايطلق عليه بالغزل العذري –شيوعه في بني عذرة– "وهو ضرب من الغزل الذي تشيع فيه حرارة العاطفة،وتشيع منه الأشواق ويصور خلجات النفس وفرحات اللقاء وآلام الفراق، ولا يحفل بجمال المحبوبة الجسدي بقدر مايحفل بجاذبيتها وسحر نظرتها وقوة أسرها، ثم يقتصر فيه الشاعر على محبوبة واحدة طيلة حياته أو ردحا طويلا من حياته"[1].

فالغزل العذري هو من الفنون الشعرية التي تنمو فيها حرارةالعواطف الطاهرة العفيفة التي يستخدمها الشاعر لأبراز مكابد العشق وآلام الفراق والبعد عن الحبيبة، وهو غزل يترفع عن ذكر المحاسن الجسدية للمحبوبة بل يقتصر على إظهار المشاعر الجياشة اتجاهها.

فهو "المظهر الفني للعواطف المتعففة والملتهبة في آن معا، والتي وجدت أن هذا التعويض الفني هو خير ماتطفئ به لهبها وتسامي له غرائزها"[2].

وهكذا "فالغزل العفيف غزل الروح المنصهرة وهو لذلك تجربة الوجدان يجري داخل النفس أكثر مما يظهر في خارجها، ولهذا السبب تكاد تراه واحدا عند جميع شعرائه، يلتقون فيه وفي ماينتابهم من جرائه حتى لتكاد تحسبهم واحد على تعددهم، وحتى لتكاد تحسب أقوالهم قولا واحدا لصفاء نفوسهم وانحصارها في قيد التجربة الواحدة"[3].

---

[1] –أحمد محمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، مرجع سبق ذكره، ط3، القاهرة، (د.ت)، ص142.

[2] – شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، من امرؤ القيس إلى ابن أبي ربيعة، دار الملايين، ط5، بيروت، 1996، ص237.

[3] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، (د.ط)، دار الجبل، بيروت–لبنان، (د.ت)، ص443.

وعليه نستطيع القول إن الغزل العذري هو الغزل البدوي العفيف الذي يتغنون فيه العذريين بحبهم العفيف الطاهر لمحبوباتهم، ويتميز غزلهم بالوفاء لمحبوبة واحدة، ويغلب عليه الجانب الروحي على الجانب الجسدي.

ثانيا-خصائص الغزل العذري:

ساهمت عوامل كثيرة في انتشاره منها بزوغ الإسلام والتأثر به في جانبه الروحي والخلقي، والاستجابة لتوجيهه في اجتناب الفاحشة والزهد في المتاع الحرام.

الغزل العذري كسائر الأنواع الأدبية يتمتع بخصائص متعددة تميزه عن أنواع أخرى، لكل منبع خصائصه نذكر منها:

1. الإكتفاء بمحبوبة واحدة:

قد تميز الشاعر العذري في غزله لحبيبة واحدة حيث يكون الوفاء وصدق المشاعر والإخلاص، فلا يكون الشاعر مشغولا إلا بتلك المحبوبة عن بقية مايلهيه. يقول في هذا الصدد هدبة:"

وَجَـدتُ بِهـا مـالَم تَجِـد أُمٌّ واحِـدٍ وَلا وَجـدَ حُـبّـي بـابـنِ أُمِّ كِـلابِ"[1]

2. وحدة الموضوع:

حيث يكون موضوع الشاعر أن يصف مشاعره وأحاسيسه التي يبادلها حبيبته، "حيث أصبحت القصائد الشعرية ذات مقدمة غزلية وموضوع يسطو على القصيدة، أي يمتلكها في أغلبها وهو الحزن والفراق عن رحيل المحبوبة أو البكاء على الأطلال"[2].

3. بساطة المعاني والسهولة والوضوح:

بساطة المعاني ومباشرتها وعدم الغموض والتعمق فيها، لأن الشاعر لايهتم بالمعاني بقدر اهتمامه وتركيزه على التعبير عن العاطفة التي تجيش بها نفسه.

---

[1] – ينظر: يحيى الجبوري، ديوان شعر هدبة بن الخشرم العذري، ص39.

[2] –أحمد حسين صبوة، الغزل العذري في العصر الأموي، دار المعارف، ط3، القاهرة، (د.ت)، ص4.

4. العفة والطهارة:

اشتهر الحب العذري "بالعفة والطهارة، وعدم احتفاله باللذة أو تعلقه بالجسد، وامتاز المحب العذري بأنه مثالي لا غاية له في المحبوب ولا غرض يسعى إليه، فالحب العذري صورة مصفاة من صور المحب تسمو على لذة الحسن وتتعالى عن شهرة الجسد"[1].

5. الحزن والتشاؤم:

عرف الغزل العذري "بالنزعة التشاؤمية لأن الشاعر يصف كل أحزانه وآلامه، فعندما يكشف أهل المحبوبة حب الشاعر لها يضطرون إلى الرحيل أو طرد الشاعر عن القبيلة وعدم تزويجها به، فيكمل طريقه بالترحال وقول أشعاره التي تسيطر عليها النزعة التشاؤمية والحزن والبكاء على الأطلال"[2].

فهذا الغزل كان مصدره المحيط البدوي الصحراوي خاصة، وهو غزل يعبر فيه الشاعر عن أحاسيسه ومشاعره اتجاه محبوبته، يغلب عليه الجانب الروحي على الجسدي، ويتميز الشاعر فيه بوفائه لمحبوبته مهما يواجهه من صعوبات.

6. غلبة روح الصدق على روح الشاعر العذري:

فهو يقنع مستمعيه بحرارة عاطفته وأمانة وصفه لما يعبر عنه من شعور نحو محبوبته.

7. سهولة الأسلوب ومباشرته:

حيث يتجه فيه إلى الغرض الأصلي دون المرور بالمقدمات والأغراض الأخرى التي يهتم بها الشعراء غير الغزليين.

8. شيوع الألفاظ والمعاني الإسلامية:

في شعر الغزل العذري وهذا يعود إلى بيئة الحجاز المحافظة، فالشاعر يشكو حاله إلى الله عسى أن يخفف عنه آلامه جراء فراقه لحبيبته.

---

[1] –المرجع السابق، ص5.

[2] – المرجع نفسه، ص12.

ثالثا-موضوعات الغزل العذري بين الجاهلية والإسلام:

طرق الشعراء العذريون بين الجاهلية والإسلام الكثير من الموضوعات المتشابهة مع تفاوت في بعضها والتي منها:

أ) التغني بالصفات الحسية والمعنوية:

برزت هذه الظاهرة بشكل جلي عند معظم شعراء الجاهلية والإسلام العفيفين، يقول هدبة بن الخشرم وهو يشبه امرأته بالظبي العطشان فكانت تولول خلفه عند سياقه للقتل:"

أَقِلّي عَلَيَّ اللَومَ يا أُمَّ بَوزَعا ولا تَجزَعي مِمّا أَصابَ فأَوجَعا"[1]

يقول أيضا:"

وَعِندَ سَعيدٍ غَيرَ أَن لَم أُبَح بِهِ ذَكَرتُكِ إِنَّ الأَمرَ يُذكَرُ بِالأَمرِ"[2]

حيث شبه فمها بفم سعيد بن العاص -وكان حسن الفم- فذكره بثغر حبيبته ولم يستطع البوح بما يحس.

ب) الطيف والخيال:

من الموضوعات التي برزت عند الشعراء الجاهليين مثل: عنترة بن شداد يستعين بالخيال ليخفف من معاناته:"

زارَ الخيالُ خيالُ عَبلَةَ في الكَرى لمتِّيم نشوانَ محلول العرى"[3]

فرضت طبيعة الغزل العذري وجود الشوق والحنين والهيام، بسبب التمنع والفراق والنوى، وينم هذا عن صدق العذريين وأصالتهم، ونجد جميل يعبر عن شوقه لبثينة قائلا:"

وإني لمشتاقٌ إلى ريح جيبها كما اشتاقُ إدريسُ إلى جنةِ الخلدِ"[4]

---

[1] -أحمد عبد الستار الجواري، الحب العذري نشأته وتطوره، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 2006م، ص101.

[2] - هدبة بن الخشرم العذري، ديوانه، ص.19

[3] - عنترة بن شداد، الديوان، شرح يوسف عيد، دار الجيل، (د.ط)، بيروت، 1422هـ /2001م، ص228.

[4] - جميل بثينة، الديوان، دار صادر، (د.ط)، بيروت، (د.ت)، ص43.

وهناك موضوعات أخرى: كالفراق والنوى، الحج وزيارة بيت الله الحرام فكان الشاعر العذري يتمنى لقاء محبوبته في هذا المكان الطاهر، بالإضافة إلى موضوع الشباب والمشيب حيث يسترجع الشاعر شبابه وقت مشيبته فيتحسر على تلك الأيام، ويتألم لما أصابه من مشيب.

رابعا-أثر الغزل العذري في شعر هدبة بن الخشرم:

لقد حاز شعر هدبة على إعجاب النقاد والأدباء في عصره وبعده، فقد كان شعره تعبيرا صادقا عن عواطفه وأحاسيسه، فقالوا: "كان هدبة أشعر الناس منذ يوم دخل السجن إلى أن أقيد منه"[1]. فأجمل ماقاله هدبة من الشعر كان في سجنه، أو بالأحرى في بعده عن دياره ومايخالجه من مشاعر الشوق إليها وإلى حبيبته، حيث يذكر الشاعر من خلال ديوانه سوء حاله والظلم الذي لحقه في السجن، كما يتلهف إلى الأيام الماضية التي قضاها بجانب محبوبته.

فكان الشعر هو المترجم لعاطفة المحب التي تكتسح ساحة قلبه وتهز جدرانه، "فلقد كان الشعر مثلا ينشأ عفو الخاطر، ويجري به العربي على سليقته، وينغلق عليه بشكل طبيعي كوسيلة طبيعية للتعبير عن خواطره وأحاسيسه دون التفكير فيه أو إعمال نظره، وماسبق لشاعر قط أن اتخذ من شاعريته مهنة أو قنطرة يعبر عليها إلى الكسب، والذين كسبوا منها شيئا فيما مضى إنما كسبوه -أيضا يصور عفوية، كأن ينالوا مكافأة رئيس أو وال عن أريحية فيه"[2].

وكما لا يخفى عنا أن الغزل العذري عرف انتشارا ملحوظا في العصر الأموي -وبالأخص في قبائل بني عذرة- واكتسب هذه التسمية، وشاعرنا هدبة العذري واحد من هؤلاء الشعراء العذريين لكونه ينتمي وينتسب إليهم.

والملاحظ أن الشاعر في العصر الجاهلي كان يستمد خياله من مظاهر الطبيعة: كالصحراء برمالها، ونباتها، وحيوانها، وكذلك الشمس والقمر، والأمطار والرياح، فكانت هذه المظاهر الطبيعية تشكل المورد الأساسي للشعراء لينمو بها خيالهم وإحساسهم الجمالي فيبدعون أجمل القصائد.

---

[1] - ينظر: الأصفهاني الأغاني، ج21، دار الكتب المصرية للثقافة، (د.ط)، بيروت، 1922م، ص174.

[2] - عبد اللطيف شرارة، فلسفة الحب عند العرب، دار مكتبة الحياة، (د.ط)، بيروت، (د.ت)، ص134.

واستمر الحال مع شعراء العصر الأموي واتخذوا كذلك من الطبيعة مورد لأبداعاتهم وحاول هؤلاء الشعراء جميعا أن يربطوا كل مظاهر الجمال في الطبيعة بتصورهم للمرأة، فاصطفوا أجمل مشاهد الطبيعة وقرنوها بجمال محبوباتهم، فتخيروا من الأزهار الأقحوان، ومن السماء الغيوم والأمطار لمشيتها، ووصف وجه جمالها بالقمر والنجوم، وتخيروا من الحيونات أجملها: كالغزال في صفة الرشاقة والقد.

يقول هدبة بن الخشرم مصورا مواكب النساء الجميلات بأعناقهن التي استعرنها من الظباء الرشيقة، وأعينهن التي تشبه أعين البقر الوحشي في سعتها، ولونها، وثقل أرادفهن بالسحاب المثقل بما يحمل من خير:"

فَلَم تَرَ عَيني مِثلَ سِربٍ رَأَيتُهُ خَرَجنَ عَلَينا مِن زُقاقِ اِبنِ واقِفِ
تَضَمَّخنَ بِالجادِيِّ حَتّى كَأَنّما الأُنوفُ إِذا استَعرَضتَهنَّ رَواعِفُ
خَرجْن بِأعناقِ الظّباءِ وأعينَ الـ جآذروا ارتَجَّت لَهن السوالِفُ
فَلوْ أنَّ شيئًا بطرفْه لَصدن ظباء فوقهن المطارفُ"[1]

من أهم الأغراض الشعرية التي تناولها هدبة 'الغزل'، لأنه يتضمن ذكريات الشاعر لشبابه ووصفه للمرأة يقول ابن رشيق في هذا الصدد:"أما الغزل فهو ألف النساء والتخلق بما يوافقهم"[2]. فقد هذب الإسلام النفوس مما انعكس ذلك على الشعراء بصفة عامة والغزل خاصة.

من ذلك ماقاله هدبة يصف حبه لها وتعلقه بها حين كان يجيب حق المدينة يقول:"

وَجَدْتُ بِهَا مَالَمْ تَجِدْ أُم وَاحِد وَلاَ وَجَدَ حَبِّي بِابْنِ أُمِّ كَلاَب"[3]

كانت المرأة هي المتنفس الوحيد عن أحزانه وهمومه ومحنته، فهي سلوته وراحة نفسه فيذكرها ويناجي طيفها ويتذكر أيامها ويشكو بعادها، فقد كانت زوجته هي حبيبته الوحيدة في حياته

[1] –المرجع السابق، ج21، ص172.

[2] –ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج2، تح: محمد محي الدين، مطبعة السعادة، مصر، 1955م، ص452.

[3] – يحيى الجبوري، ديوان هدبة بن الخشرم العذري، مصدر سبق ذكره، ص39.

فقد كان يحبها وكانت فائقة الجمال. وقد أحبته ووفت له بما لم تف امرأة، فقامت 'أم مالك' أو كما يقال لها 'أم الصبيين' بجدع أنفها وقطع شفتيها لتطمئن زوجها بعد موته أنها لم تعد تصلح لرجل بعده. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على شدة حبها الطاهر العفيف فبالرغم من المصائب ونكبة السجن الذي أصابته ورغم بعد المسافات بينهما وصعوبة رؤية محبوبته إلا أنها بقيت وفية للعهد، مما زاده حبا لها واشتياقا إليها، فما كان السبيل إلا التخفيف عنه إلا أن يحلم بها ويتمنى لقائها، فإن خاب في هذا اللقاء فلعله يراها في الحلم، يزوره طيفها من ديارهم في أرض "غضيان"[1].

1) المعجم الشعري:

إن الدارس لشعر هدبة بن الخشرم يتضح له جليا أن هدبة هو أول شاعر في تاريخ الأدب العربي، يصور حياة السجن بتفصيل دقيق، وفي شعره تصوير صادق كذلك لحالة الإنسان الذي يترقب الموت ويتوقع نزوله في أي وقت. فقد لاقت قصة هدبة وأخباره وشعره إعجاب الأدباء والرواة. يقول في هذا الصدد المصعب الزبيري: "كنا بالمدينة أهل البيوتان، إذ لم يكن عند أحدنا خبر هدبة وزيادة وأشعارهما ازدريناه وكنا نرفع من قدر أخبارهما وأشعارهما ونعجب بهما"[2].

إذا مادرسنا خصائص اللغة الشعرية في شعر هدبة بن الخشرم العذري فسنجد سمات لغوية أتت من طبيعة الحياة البدوية الصحراوية، التي كان يعيش وسطها فجاءت لغته تعبر عن حياته البسيطة "لأنه ينحدر من بادية الحجاز، ومع ذلك فشعره يكثر فيه الارتجال والعفوية، وفيه قوة وجودة ومتانة"[3]. وهذا ليس بالأمر الجديد علينا لأنه ينحدر من عائلة شاعرة فكان شعره يتميز بالفصاحة والبلاغة. يقول ابن رشيق: "ومن الشعراء من شعره في رويته وبديهته

[1] – غضيان: بلد في ديار سعد هذيم بين الحجاز والشام

[2] –المصدر السابق، ص6.

[3] – المصدر نفسه، ص26

سواء عند الأمن والخوف، لقدرته وسكون جأشه وقوة عزيمته' وعدد من هؤلاء الشعراء والتي من بينهم: هدبة بن الخشرم ،وطرفة بن العيد،ومرة ابن محكان السعدي"[1].

ومن خلال ديوان هدبة سنبين طبيعة الألفاظ التي استقاها الشاعر ومصادرها ودلالتها:

طبيعة الألفاظ:

وظف هدبة بن الخشرم العذري في ديوانه ألفاظ وجدانية حزينة يظهر ذلك جليا في قوله:"

إنّـي عَـدانـي أَن أَزورَكِ مُـحـكَـمٌ مَتّى ما أُحَرِّك فيهِ ساقيَ يَصـخَـبِ

حَديدٌ وَمَرصـوصٌ بِشَـيدٍ وَجَندَلٍ لَـهُ شُـرُفـاتٌ مَرقَـبٌ فَوقَ مَرقَـبِ"[2]

يتضح لنا من خلال ماسبق أن شاعرنا العذري هدبة يعاني من آلام فراق أهله وزوجه ويتمنى لقائهم وزيارتهم، لكن جدران السجن تقف حاجزا بينه وبينهم، بالإضافة إلى القيود التي تكبل يديه وقدميه مما يصعب عليه المشي.

كما وظف الشاعركلمات تمتاز بالرقة والعذرية بعيدة كل البعد عن الغرابة والوحشية من خلال قوله:"

وَرُبَّ كَـلامٍ قَـد جَرى مِن مُـمـازِحٍ فَسـاقَ إِلَيـهِ سَـهمَ حَتفٍ فَعَجَّلا

فَـدَع عَنـكَ قُربَ المَزحِ لا تَقرَبَنَّـهُ كَفى بِـامرىءٍ وَعظـاً إِذا مـا تَكَهَّلا" [3].

وحتى يؤثر الشاعر في محبوبته وظف ألفاظ وجدانية رقيقة معبرا بها عن أحاسيسه وعواطفه الصادقة وتصويره لشدة حبه واشتياقه لأم وازع. كقوله في الشوق إليها ورغبته في لقائها:"

أَلا لَيـتَ شِـعري إِلى أُمِّ مَعمَرٍ عَلى مـا لَقينـا مِن تَنـاءٍ وَمِن هَجرِ

تَبـاريحُ يَلقـاهـا الفؤادُ صَـبـابَـةً إِلَيـهـا وَذِكـراهـا عَـلـى حـينِ لا ذِكرِ

فَيـا قَلـبُ لَم يـأَلَف كـإِلفِـكَ آلِفٌ وَيـا حُبَّهـا لَم يُغرِ شَـيءٌ كَمـا يُغرى"[4]

---

[1] –ابن رشيق، العمدة، مرجع سبق ذكره ج1، ص193

[2] – هدبة، ديوانه، ص31.

[3] –المصدر نفسه، ص36.

[4] –المصدر نفسه، ص40.

والمتمعن لشعر هدبة يجده شعر عذري يتخلله الصدق الفني النابع من تجربته داخل السجن، فكان شعره بمثابة المرآة العاكسة لنفسيته ومايعانيه من ألم الحب ولوعة الفراق داخل الدهاليز المظلمة.

مصادر الألفاظ:

أثرت الطبيعة الصحراوية –بادية الحجاز– في شعر هدبة بشكل واضح فيما يخص غزله العفيف الطاهر لزوجته، بالإضافة إلى تأثره الواضح بالإسلام والرضا بقضاء الله وقدره.

يقول في وصف حبه لزوجته:"

وَجَدتُ بِها مالَم تَجِد أُمُّ واحِدٍ وَلا وَجَدَ حُبّي بابنِ أُمِّ كِلابِ"[1]

ونجد في قوله أيضا يطلب المغفرة والعفو من الله تعالى:"

لأَعلَمُ أَنَّ الأَمرَ أَمرُكَ إِن تَدِن فَرَبٌّ وَإِن تَغفِر فَأَنتَ غَفورُ

يقول:

لَا أَرَى ذَا الْمَوْتَ إِلَّا هَيِّنًا إِنَّ بَعْدَ الْمَوْتِ دَارُ الْمُسْتَقَرْ"[2]

يتبين لنا مما سبق إيمان هدبة وتمسكه بالإسلام فهو راض عن الحالة التي وصل إليها ومعترفا بخطئه مقرا أن الطيش والمزاح كان سببا في قتل ابن عمه وهو الآن يدفع ثمن التكلفة غاليا، وهناك مفردات أخرى في هذا المعجم الديني تتمثل في: لفظ الجلالة"الله"، الصبر، الهدى...

دلالة الألفاظ:

من خلال تطرقنا لهذه الألفاظ التي تناولها هدبة بن الخشرم العذري، نجدها تصور وتصف لنا حرقة الشاعر العاشق ولوعه لمحبوبته، كل هذا نابع عن حبه وصدق عاطفته وإحساسه، كما يصور لنا السجن الذي مكث فيه طويلا، والحالة النفسية المضطربة، وتوزع نفسه بين الرجاء

[1] – ينظر يحيى الجبوري، ديوان هدبة، ص39.

[2] –المصدر نفسه، ص ص32–33.

واليأس، والأمل والقنوط. ولولا السجن ماكانت هذه العواطف الكثيرة المتضاربة المختلفة، كما تمتاز الألفاظ عنده بالثنائيات الضدية مثل قوله:"

عَسـى الكـربُ الـذي أمسـيتُ فيـه يَكـــــونُ وراءَه فـــــرجٌ قريـــــبٌ

وقِيـل غـد يـالَهفُ نفسِـي علـى غـدٍ إذَا راحَ ولســـــــــتُ بـــــــرَائحٍ"[1]

يتبين لنا من خلال قول هدبة مدى انعكاس حبه لزوجته خاصة الذي نظمه وهو في غياهب السجن وكان ذلك على مستويين: مستوى المفردات والمعاني وعلى مستوى الأساليب من جهة أخرى.

أ) اللغة:

تعد اللغة عنصرا مهما وذا أثر كبير في عملية الإبداع الفني، وهي مادة الأدب واللغة الشعرية تعتمد على الخلق والإبداع. ولما كانت اللغة هي الوسيلة الوحيدة عند الأديب للتعبير عن ذاته، كان لزاما عليه أن يحاول القبض على مكوناتهاوأن يسيطر عليها، فاللغة –كالعادة– تقوم على نقل تجربة الشعراء –وخاصة الشعراء داخل السجون– فقد كانت الوسيلة الوحيدة التي يصورون بها معاناتهم النفسية داخل هذه الأمكنة المغلقة.

وفي اللغة الشعرية "يلتمس الشعراء من عناصر الأداء اللغوي مايساعدهم على التعبير المناسب، كطرق الإسناد والتقديم والتأخير، والذكر والحذف والوصل والفصل، والإيجاز والإطناب، والتعريف والتنكير "[2]. مع الإعتماد على باقي اساليب التصوير والبديع من تشبيه واستعارة وكناية، ومجاز وطباق... فيضعون كل ذلك الموضع الملائم لتخرج القصيدة في أحلى حلة.

[1] –المرجع السابق، ص ص34–35.

[2] – شوقي ضيف، النقد (سلسلة فنون الأدب العربي–الفن التعليمي 1)، دار المعارف، ط1، القاهرة–مصر، (د.ت)، ص107.

وبعد فإن اللغة الشعرية كما نظر إليها بعض النقاد "تعني تحطيم اللغة الاعتيادية، وإعادة بنائها ثانية في أنساق تركيبية جديدة مشحونة بالعاطفة"[1].

وترجع قيمة اللغة الشعرية إلى هذا التأليف بين الكلمات، وفي هذا النسج الذي يختاره الشاعر لها لينتج المعنى والدلالة. فاللغة الشعرية بما فيها من خيال تستطيع أن تخلق علاقات جديدة بين الإنسان والأشياء لم تكن موجودة من قبل. وإجمالا فإن اللغة الشعرية هي لغة مجازية ومموسقة ومكثفة ومشحونة بالعاطفة.

إن الوضع الذي آل إليه هؤلاء الشعراء المساجين مع الرغبة في البوح بما هم فيه، يستدعي منهم أن يستعملوا معجما شعريا مناسبا لظروف إقامتهم.

كما عرفنا سابقا أن شعر هدبة ضاع ولم يبق منه إلا مقطوعات وقصائد متناثرة في كتب الأدب والتاريخ واللغة، وجل ماوصل إلينا هو أخبار خصومته مع ابن عمه زيادة وكذلك شعره الذي كان وليد تجربته المريرة في السجن.

وعلى هذا الأساس فإن لهدبة قاموس لغوي ينقل فيه أفكاره وأحاسيسه وسجل فيه آلامه وآماله، طيلة فترة مكوثه في السجن إلى يوم وفاته سنة 57 للهجرة. فكان شعره الذي نظمه طيلة أسره أصدق ماجادت به قريحته تمثل في نموذجين:

- ✓ ألفاظ البكاء والحسرة والألم
- ✓ ألفاظ الطبيعة

يمثل شعر البكاء والألم والحسرة جزء كبير من ديوان الشاعر، حيث ذرف دموع طيلة فترة سجنه، فالشاعر وسط الزنازين المغلقة، المظلمة، فكل أيامه حسرات وكل لياليه أحزان وآلام، فهو بواسطة الدموع يحاول التعبير عن محنته والتخفيف عن أوجاعه.

[1] – محمد رضا مبارك، اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد–العراق، 1993م، ص15

اللفظة	البيت الشاهد	الصفحة
النوائب والدهر	أَلا يـــا لَقَـــومي لِلنَّوائِـــبِ والـــدَّهرِ * ولِلمَـــرءِ يُـــردي نَفسَـــهُ وَهـــوَ لا يَـــدري	15
منايا	رُمينـــا فرامَيْنـــا فصـــادف رَمْيُنـــا * مَنَايَـــا رِجَـــالٍ فِـــي كِتَـــابٍ وَفِـــي قَـــدْرِ	15
صبر	فَإن تَكُن فِي أَمْوَالِنَا لاَ نَضِيق بِها * ذِرَاعـــا وَإن صَـــبْرٌ فَنَصْـــبِرُ لِلصَّـــبْرِ	15
خائف	فَـــإِن شِـــئْتِ وَاللهِ انْتَهَيْـــتُ وإنـــي * لِأن لاَ تَرَيْنِـــي آخِـــرَ الـــدَّهْرِ خَـــائِفُ	18
أسير	تَعَجَّـــبُ حُبَّـــى مِـــن اسِـــير مُكَبَّـــلٍ * صَـــلِيبِ العَصَـــا بَـــاقٍ عَلَـــى الرَّسَـــفَا	19
حبيسا	وَكَـــوْنِي حَبِيسًـــا أَو لأَرْوَعَ مَاجِـــدٍ * إِذَا ظَـــنَّ أَعشَـــاشُ الرِّجَـــالِ تَبَرَّعَـــا	20
الموت	لَا أَرَى ذَا الْمَـــــوْتَ إِلَّا هَيِّنًـــــا * إِنَّ بَعْـــــدَ الْمَـــــوْتِ دَارُ الْمُسْـــــتَقَرْ	21
الحديد	إِن تَقْتُلُـــونِي فِـــي الحديـــدِ فـــإِني * قَتَلـــتُ أَخَـــاكُم مُطْلَقًـــا لَـــمْ يُقَيَّـــدِ	21
قلبي كئيب	يـــؤَرِّقُني اكتِئَـــابُ أَبـــي نُمَيـــرٍ * فَقَلبـــي مِـــن كآبَتِـــهِ كَئِيـــبُ	30
الكرب والفرج	عَســىَ الكـربُ الـذي أمسـيتُ فيـه * يَكـــــونُ وراءَه فـــــرجٌ قريـــــبٌ	30
السجن	وَلَمَّـا دخَلْـتُ السِّـجْنَ يَـاأُمَّ مَالِـك * ذَكَرْتُـكِ وَالأَطْـرَافُ فِـي حَلَـقٍ سُـمْرِ	31
الظلم	بَغِيضٌ إِلـيَّ الظلـمُ مَـالَمْ أُصَـبْ بـه * وَلاَ أَتَمَنَّـــى الشَـــرَّ وَالشـــرُّ تَـــارِكِي	33
النار–فقير	أَذَا العَـرْشِ إِنِّـي مُسْـلِمٌ لَـكَ عَائِـد * مِـــن النَّـــارِ ذُو بَـــث فَقِيـــر	33
دار المستقر	لَا أَرَى ذَا الْمَـــــوْتَ إِلَّا هَيِّنًـــــا * إِنَّ بَعْـــــدَ الْمَـــــوْتِ دَارُ الْمُسْـــــتَقَرْ	33
المنية	عَلـــى أَنَّ المَنيَّـــةَ قَـــد تـــوافي * لِوَقـــتٍ والنوائِـــبُ قَـــد تَنـــوبُ	34
البكاء والنوح	أَلا عَلِّلانـــي قَبـــلَ نَـــوحِ النَـــوائِحِ * وَقبـــلَ اطِّـــلاعِ الـــنَفسِ بَـــينَ الجَـــوانِحِ	35
دموع	إِذا راحَ أَصـحابي بِفَـيضِ دُمـوعِهِم * وغُـــودِرتُ فـــي لَحـــدٍ عَلـــيَّ صَـــفائِحي	35
اليأس	وَبَعضُ رِجاءِ المَرءِ ما لَيسَ نـائِلاً * غَنـــاءً وَبَعـــضُ اليـــأسِ أَعفـــى وأَروَحُ	37
المشيب	طَرِبـــتَ وأَنـــتَ أَحيانـــاً طَـــروبُ * وَكيـــفَ وَقَـــد تعَـــلّاكَ المَشـــيبُ	39

يظهر من خلال تتبعنا للمعجم الشعري في ديوان هدبة بن الخشرم العذري، أن كل المفردات دارت حول البكاء ومفارقة الأهل والأحبة والأصدقاء، ولهذا فقد تميزت معانيه وألفاظه بالصدق والوضوح والبساطة إذ ليس فيها تكلفا لأنه يصور لنا تجربته الصادقة التي مر بها في السجن،

ومن مظاهر الصدق الأدبي هو البوح وإفضاء بما في النفس المشحونة هموما وآلاما. فكان الحزن هو الطابع الذي يغلب على شعره في هذه الفترة. ولهذا نجد شعره تغلب عليه القوة والجزالة وحسن الصياغة وجودة المعنى ولغته فصيحة.

ألفاظ الطبيعة:

بلا شك تأتي الطبيعة أساسا في تكوين الحالة الشعرية لدى الشاعر، وهي بالتالي من مقومات الإبداع عنده فالشاعر يستلهم من الطبيعة مورد إبداعه. يعرفها "جودت الركابي" "شعر الطبيعة هو الشعر الذي يمثل الطبيعة وبعض مااشتملت في نفسه مرهفة وحبه لها واستغراقه بمفاتنها وكلما كان شعر الطبيعة معبرا عن هذه المشاركة وهذا الإستغراق ومصورا جمال الطبيعة وفتنتها في شتى مظاهرها. كان هذا الشعر مزدهرا ومحققا غرض موضوعه"[1].

والملاحظ أن الشعراء قد تأثروا بما حوته بيئتهم من مظاهر طبيعية ساحرة، فذكرها شاعرنا هدبة العذري وهو في أسره، وهذا مايتبين من خلال الجدول التالي:

اللفظة	البيت الشاهد	الصفحة
الأرض	وَلِلأَرضِ كَمْ مِن صَالح قَد تألَّمَت * عَلَيْهِ فوَارَتْهُ بِلماغة قَفَر	15
قصر	وَأَنتَ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ فَمالَنَا * وَرَائك مِن معدى وَلاَ عَنكَ مِن قَصر	15
الرياح	أَلا لَيتَ الرياحَ مُسَخَّراتٌ بِحاجَتِنا تُباكِرُ أَو تَؤوبُ	30
شرفات	حَدِيد وَمَرصُوص بشيد وجندل لَهُ شُرُفات مرقب فوق مرقب	31
حمام	سَنَلْقوا الذي لاقوا حماما مقدرا ومالك جائبا لابد منه	37
الغراب	يُخْبِرُنا الغُرابُ بِأن سَتَنْأَى حَبَائِبُنا فقَد تَكْيَاغَابَ	63
الليل	فَزَمُوا بِلِيلٍ كَل وَجْنَاهُ حرة ذُقُونٌ إِذَا مَايُسَائِقُ الرَّكْبُ أهذبَا	66

وبهذا نجد الشاعرالأسير يستمد من الطبيعة والكون صورا جميلة، حاول بواسطتها التعبير عما يخالجه في نفسه اتجاه مأساته بشكل عام وسجنه بشكل خاص، فقام بتشخيص الموجودات

[1] – جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، 1969م، ص126.

من حوله، وإسقاط الروح والحياة على الجمادات لجعلها كائنات تحس وتشعر، لتكون بذلك بمثابة الشريك في المحنة والقريب من القلب والروح لبث شكواه قصد التخفيف عن نفسه.

ب)الأسلوب:

يطلق الأسلوب في اللغة على معان كثيرة فيقال "للسطر من النخيل.والأسلوب للطريق وكذلك للوجه والمذهب"[1]

أما في الإصطلاح فيعرفه 'الجرجاني' عنده من خلال حديثه عن موضوع الاحتذاء يقول: "واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض اسلوبا، والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه، فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره، فيشببه بمن يقطع من أديمه نعلا على مثال نعل قد قطعها صاحبها فيقال: قد احتذى على مثاله."[2]

وعليه فالأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه.

أسلوب التمني والرجاء:

وقد جاء أسلوب هدبة العذري متنوعا، بين التمني والرجاء، حيث طغت هاته الأساليب على شعره وهو في الأسر. ومن ذلك يقول وهو يحدث صاحبه أو ابن عمه نمير الذي سجن معه ويزين له الصبر والأمل:"

عَسـى الكـربُ الـذي أمسـيتُ فيـه يَكـونُ وراءَه فـرجٌ قريـبٌ"[3]

وقوله أيضا:"

وَلا أتَمَنَّـى الشَّـرَّ والشَّـرُّ تَـارِكِي ولكـن متـى أُحمـل علـى الشَّـرِّ أركـبِ"[4]

---

[1] –ابن منظور، لسان العرب، مرجع سبق ذكره، ج7، دار صادر، ط3، بيروت–لبنان، 1978م، ص361.

[2] – الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار المعرفة (د.ط)، بيروت–لبنان، 1978م، ص361.

[3] – ينظر: يحيى الجبوري، ديوان شعر هدبة بن الخشرم العذري، ص30.

[4] –المصدر نفسه ، ص 29.

ونجده في موضع آخر يناجي الرياح ويتمنى منها أن تسخر هذه الرياح لتقضي له مايريده ويذهب إلى أهله تخبرهم عنه، وتأتي بأخبارهم إليه يقول:"

أَلا لَيتَ الرياحَ مُسَخَّراتٌ بِحاجَتِنا تُباكِرُ أَو تَؤوبُ

فَتُخبِرنا الشَمالُ إِذا أَتَتنا وَتُخبِر أَهلَنا عَنّا الجَنُوب"[1]

يقول:"

وَبَعضُ رِجاءِ المَرءِ ما لَيسَ نائِلاً غَناءً وَبَعضُ اليَأسِ أَعفى وأَروَحُ"[2]

ونراه أيضا يصف شوقه وحبه لزوجته ويتمنى لقائها بعد أن طال الفراق بينهما يقول:"

أَلا ليت شعري هل إلى أم معمر

على مالقينا من ثناء ومن هجر"[3]

من خلال ماسبق يتضح لنا أن شاعرنا العذري يتمنى خروجه من هذه الدهاليز المظلمة،ورؤية أحبته وأهله بعد أن طال فراقهم عنه،فهو مشتاق لهم. فالتمني هو طلب أمر تحبه النفس وتميل إليه وترغب فيه، ولكنه لا يرجى حصوله، إما لكونه مستحيلا، أو لكونه بعيد لا يطمع في نيله.

يلجأ الشاعر إلى التمني كلما اصطدم بالحقيقة وعجز عن التعاطي معها، وتراه صادقا في تمنيه حيث استخدم أسلوب الجزم (ألا) تعبيرا عن الضائقة النفسية التي يعيشها.

النهي والأمر:

يقول هدبة:"

فَلاَ تَعجبِي مِنِّي حليلة مَالك كَذَلك يأتي الدهرُ بالحدثَانِ"[4]

وقوله أيضا:"

---

[1] –المصدر السابق ص 30.

[2] –المصدر نفسه، ص 37.

[3] –المصدر نفسه ص 40.

[4] –المصدر نفسه، ص 19.

أَقِلّي عَلَيَّ اللَومَ يا أُمَّ بَوزَعا وَلا تَجزَعي مِمّا أَصابَ فَأَوجَعا"[1]

يقول أيضا:"

وَلا تَنكَحي إِن فَرَّقَ الدَهرُ بَينَنا أَغَمَّ القَفا والوَجه لَيسَ بِأَنزَعا"[2]

يخاطب الشاعر خليله 'أم مالك' فيقول لها أن لا تعجب للحالة التي آل إليها، فإن الزمن غير أمين ومتغير يأتي بالجديد، فدوام الحال من المحال، فيأمرها بأن لا تجزع لما أصابه ولا تفجع فهو بهذا الأمر يحاول التخفيف عنها كي لايكون وقع المصيبة حملا ثقيلا على عاتقها بالإضافة إلى أمرها بعدم الزواج من بعده، حتى لو فرق الدهر بينهم، فهو يوصيها بعدم التفريط فيه وفي حبه ولو بعد موته فيريد منها أن تفي بحبها وأن تحقق وصية ميت.

القسم:

أسلوب يدل على اليمين والحلف، ويراد به تأكيد الشيء لدى السامع بغرض إزالة أي شك عنده يقول هدبة في هذا الصدد:"

وَأُقسِم لو أدركته لكسوتُهُ حُسَامًا إِذَا ماخَالط العَظم أسرعَا"[3]

هذا البيت قاله لما ذهب للبحث عن زيادة في بيت 'أدرع' وحذره أنه سيقتله إن عثر عليه.

الإستفهام:

هو طلب معرفة شيء مجهول لا يعرفه السائل، ولم يسبق معرفته به.

يقول هدبة مخاطبا معاوية:"

"والأرض كم من صالح قد تألمت عليه فوازنه بلماغة قفر"[4]

---

[1] –المصدر السابق، ص ن.

[2] – المصدر نفسه ص 20.

[3] – المصدر نفسه، ص13.

[4] – ينظر: يحيى الجبوري، ديوان هدبة بن الخشرم، ص15.

يقول أيضا وهو يتحدث عن الشيب:"

طَـرِبـتَ وأَنـتَ أَحـيـانـاً طَـروبُ وَكـيـفَ وَقَـد تـعَـلّاكَ الـمَشـيـبُ"[1]

التعجب:

أسلوب يدل على الإستغراب وانفعال النفس عند الشعور بأمر يجهل سببه. يقول هدبة لزوجته أن لا تعجب من الحالة التي بلى إليها بعد مكوثه في السجن يقول:"

تعجـب حبي من أسـير مكبـل صـليب العصـابات على الترسـفان"[2]

النداء:

هو طلب شخص واستدعائه القدوم وقد يكون النداء للقريب والبعيد. يقول "واسع بن الخشرم" في قتل أخيه:"

يـاهـدب يـاخير فتيـان العشـرة من يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا"[3]

وفي مثال آخر عندما قدم بهدبة إلى سجن المدينة فقالت أمه تخاطب أهل المدينة:

أيـا إخوتي أهـل المـدينـة أكرموا أسـيـركـم إن الأسـيـر كـريـم

نلاحظ من خلال هذين المثالين أن أخو هدبة وأمه استخدموا أدوات النداء للبعيد، وهي (يا، أيا) فهدبة في المثال الأول متوفي وهو بعيد عن مرأى العين وفي المثال الثاني أمه تنادي أهل المدينة من مكان بعيد ليكرموا ابنها الأسير.

خامسا-أسلوب أدب السجون:

مما تقدم من أدب السجون، نلاحظ كثرة الأساليب الإنشائية، وطغيانها على الأساليب الإخبارية كصيغ النداء وصيغ الإستفهام والأمر وكل الأساليب الإنشائية الأخرى من تمن ورجاء وتعجب ودعاء.

---

[1] -المصدر السابق، ص39.

[2] -المصدر نفسه، ص19.

[3] -المصدر نفسه، ص22.

إن طبيعة النداء من شأنها أن تعبر بقوة عن مشاعر المتكلم، فهي الوظيفة التعبيرية للكلام كما أنها وسيلة لتحريك مشاعر المستمع.

وعليه "كان الأسلوب في عمومه الطريقة التي يتبعها الإنسان أو منهجه في التعبير عن ذاته وتجاربه كتابة"[1]، فهو بمثابة البصمة الفنية الخاصة بالمبدع والتي تميزه عن سواه.

1) بنية المقطعات:

وباختلاف طبيعة الموضوعات والمؤثرات النفسية ظهرت سمة جديدة تمثلت في اختلاف شكل القصيدة، إذ لم يعد هم الشاعر الحبيس إظهار براعته وقدرته الفنية والالتزام بالشكل التقليدي المتعارف عليه وإنما كثف جهده لاخراج مالديه بشكل جديد ومناسب لإيصال صورة نفسه وقضيته كما يحس ودون صناعة أو تكلف، إلا ماكان عفو الخاطر، فقصرت قصائدهم نتيجة لذلك، ونحن بهذا لا ننفي وجود القصيدة فيه وإنما نشير إلى محدودية القصائد الطوال نظرا لطبيعة الحياة التي يعيشون فهم في قلق وعذاب دائمين، وفي وضع نفسي مضطرب يبعدهم عن طوال القصائد ويقربهم من الفنون السريعة التي تتناسب مع عواطفهم لذلك صاغوا أغراضهم بشكل موجز مباشر، فكانت مقطوعاتهم "كدفقة المطر من السحاب نهل إذا أثقل وتحبس إذا خف، فتبدأ إذا بلغ التأزم الشعوري أقصاه ووتتوقف فجأة إذا أفرج"[2]

فهذا اللون من الشعر "تهتف به النفوس المتألمة عفو البديهة بدافع الخوف أو الرهبة أو الرغبة والرجاء"[3]. فكانت هذه المقطوعات موافقة الأحاسيس والخواطر التي تلم بالسجين فيصوغها في أبيات موجزة معبرة، حيث نجد فيها الصورة الصادقة لواقع الحياة التي يعيشونها.

---

[1] – مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان – بيروت، 1979 م، ص22.

[2] – أحمد مختار البرزة، الأسر والسجن في شعر العرب (تاريخ ودراسة)، مرجع سبق ذكره، ص638.

[3] – واضح الصمد، السجزن وآثارها في الآداب العربية–من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي–،مرجع سبق ذكره، ص264.

فالحالة النفسية المضطربة للسجين والقلقة جعلته "ينصرف إلى نظم مقطوعات قصيرة تعبر عن نفسيتهم مبتعدين في ذلك عن القصائد الطويلة كما أهملوا أيضا الأجزاء الموروثة كوصف الرحلة والناقة على أنهم لم يهملوا وصف المرأة ووصف الطيف"[1]

2) المطالع:

فقد حظيت مطالع القصائد عامة بعناية الشعراء على مدى العصور، إذ تعتبر مدخلا هاما للقصيدة ومقياسها لمدى نجاحها أو فشلها، فهي أول مايدفع المتلقي إلى التشبيه والإصغاء أو الانصراف وعدم الاهتمام.

لقد امتازت مطالع قصائد الأسر بالتعدد والتنوع عند الشاعر الواحد بفعل العامل النفسي المسيطر على مواقفهم فجاءت مطالعهم تقليدية مألوفة في بعضها، ومستجدة مستوحاة من أثر السجن عليهم في بعضها الآخر.

ويبدو أن 'يزيد بن المفرغ' كان الأجرأ على كسر تلك القيود في لاميته يعبر فيها عن شكواه لما يعانيه من عذاب السجن يقول:"

دارَ سَـــلمى بِـالخَبـتِ ذي الأَطلالِ كَـيـفَ نَـومُ الأَســـيـر فـي الأَغـلالِ

أَينَ مِنّي السَـــلامُ مِن بَعـدِ نَـأيٍ فَـارجَـعـي لـي تَـحِـيَّـتـي وَسُـــؤالـي"[2]

فهذا المطلع يفيض بالغزل الشجي، ويذكر أطلال حبيبته"سلمى"، فهو مقلد من جهة، وتكمن الجدة في الشطر الثاني حيث عرفنا أنه سجين.

3) الألفاظ والتراكيب:

وقد جاءت ألفاظهم وتراكيبهم استجابة لحالاتهم النفسية تحت وطأة حبسهم، فعند الرجوع إلى شعرهم نلحظ تأرجح ألفاظهم المختارة تارة بين الجزالة والشدة والغموض، وتارة أخرى بين الرقة والسهولة والوضوح. أما عن السهولة في ألفاظهم ووضوحها والتي سادت قصائدهم معظم الأحيان، فهي تنبع من كونها تعبر عن مواضيع كونية ومشاعر مشتركة بين جميع بني

[1] – المرجع السابق، ص263.

[2] –المرجع نفسه، ص267.

البشر.لا يختلف الحديث عنها بين الماضي والحاضر، كالحديث عن شوقهم وحزنهم وحنينهم وذكرياتهم حديثا عفوي الخاطر بعيدا عن التكلف.

أما عن تراكيبهم التي تنتظم فيها الألفاظ، فاتسمت بمتانة النسج وقوة التعبير وإيجازه ومما يلاحظ على تلك التراكيب بداية شيوع الأساليب الإنشائية فيها، كالنداء والاستفهام والتمني والدعاء، فقدبرز استخدام هذه الأساليب بكثرة في جل قصائدهم، لما لها من قدرة على إثارة عواطف المتلقي وزعزعة كيانه ولقدرتها أيضا على تحريك مجرى الأحداث لصالح شاعرنا الحبيس.

4) الصور:

تعد الصور الفنية من أهم مكونات التجربة الشعرية التي تجعل من أفكار وعوطف الفنان عملا فنيا إبداعيا، "فالصورة هي الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة في معناها الجزئي والكلي"[1]. وشاعرنا الأسير إنما يفعل ذلك لأن "إحساسه بالكون وروحه يغاير إحساس الشخص العادي هذا من جهة، ولأن الألفاظ ومدلولاتها الحقيقية قاصرة عن التعبير عما يشاهده في حياته النفسية الداخلية من مشاعر من جهة ثانية"[2].ويبرز دور الصورة عندهم أيضا من كونها تمثل أهم الأدوات التعبيرية وأكثرها تأثيرا بالمتلقي "فالصورة قلب كل عمل فني ومحور كل نقاش نقي"[3].

وقد لجأ شعراء الأسر والسجن للصور البلاغية القائمة على التشبيه والاستعارة والكناية في إطار هذه التجربة لجوءا عفويا لا تكلف فيه، حيث عهد للصورة كأحد الأساليب التي تعينهم على التعبير عن حقيقة المشاعر التي تمرون بها. فلم يقتصدوا بذلك الصور للتشبيه البحت، بل لتجسيد عواطفهم المتأججة.

---

[1] – محمد هلال غنيمي، في النقد الأدبي الحديث، ط4، دار النهضة العربية، القاهرة، 1969م، ص442.

[2] – شوقي ضيف، في النقد الأدبي، مرجع سبق ذكره، ط2، ص150.

[3] – عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري، ص9، دار جرير للنشر، أربد، ص9.

الفصل الثالث:

تجليات ظاهرة الشوق

في شعر هدبة بن

الخشرم

الفصل الثالث: تجليات ظاهرة الشوق في شعر هدبة بن الخشرم

تمهيد:

أولا–الشوق إلى الزوجة:

1) صورة المرأة:

أ) صورة الأم:

ب) صورة الزوجة:

ج) صورة الأخت:

ثانيا–الشوق إلى القبيلة

تمهيد:

تجليات ظاهرة الشوق في شعر هدبة بن الخشرم العذري:

1) الغربة والبعد

أ) غربة النفس التي يعانيها السجين:

ب) البعد عن الأهل:

ج) البعد عن الأصحاب:

د) البعد عن الديار:

تمهيد:

إن ابتعاد أي إنسان عن الأهل وخاصة –الأولاد والزوجة والوالدين–وحتى الأصدقاء، أمر محزن يولد الإحساس بالألم والحزن، وغالبا مايحدث هذا الأمر لظروف خارجة عن إرادة الإنسان كالأسر، إن الظروف المريرة التي عاشها الشاعر الأسير في الأيام التي قضاها في السجن، ساقته إلى نظم أشعار تعبر عن عواطفه تجاه الحياة. فشعر السجن هو الشعر الإنساني النضالي الذي ولد في ظلام الزنازين وخلف القضبان الحديدية، وخرج من رحم الوجع والمعاناة النفسية والنعبر عن مرارة التعذيب وهموم السجن ولوعة الفراق لأحبته.

اذ يعد بعد الشاعر السجين عن أهله وأحبابه وخلانه من أكثر الأمور التي تشغل باله وتفكيره فيعاني لفقدهم آلام البعد وحرقة الغربة، فيشتاق لهم ويحن إلى أيامهم ولياليهم التي كانت تجمعه بهم فيبكي ويتحسر ويتمنى لو تعود تلك الأيام، ولا يجد ملاذا لبث أشواقه الحارة وحنينه الكبير إلا بالشعر، فيبعث إليهم بقصائد كثيرة يتشوقهم ويرجو رؤيتهم وهو في محنته القاسية، عسى أن يخففوا عنه الحمل ويخرجوه من الحالة الصعبة التي يعيشها.

ويلاحظ في معظم القصائد التي صدرت من السجن إلى الأهل أنها لم تخرج عن موضوع الشكوى وطلب العطف والإلحاح عليهم في طلب الإنقاذ والإسراع به ما أمكن فلا ناصر ولا معين له بعد ان تخلى عنه أفراد قبيلته وأصدقائه إلا أهله وخلانه

ومن الشعراء الذين ناشدوا أهلهم في قصائدهم التي بعثوا بها من السجن للتعبير عن شوقه إليهم الشاعر هدبة بن الخشرم العذري، حيث قضى مايتراوح ثلاث أو ست سنوات أسيرا في المدينة، فلم يجد إلا الشعر وسيلة للتخفيف من حدة آلامه والحالة النفسية المضطربة التي يعيشها.

أولا-الشوق إلى الزوجة:

للمرأة على مر العصور دور بارز في الحياة العامة وعند الرجال خاصة، ارتبطت بالرجل منذ نعومة أظافره واحتلت الحيز الأرحب في حياته، أما وزوجة وبنتا، وقد خولها حضورها العام في حياة الرجل، أن تدخل عالمه الأدبي من أوسع أبوابه، فلا تكاد تخلو قصيدة جاهلية من ذكرها، حتى أصبح ذكرها تقليدا فنيا في بداية قصائدهم يعبرون من خلاله عن شوقهم وتعطشهم الدائم إليها، فهي مبعث الفرج والأمل والجمال في حياتهم وبها يأنس الإنسان ويخفف من شدة همومه وآلامه.

ولم يختلف الحال عند شعراء الأسر والسجن، فهم أيضا بحاجة ماسة إلى وجودها في حياتهم، بل وربما أكثر من غيرهم من الشعراء، نظرا لوضعهم النفسي الحرج، فيجد الواحد منهم في المرأة المعين على إخراجه من حالة اليأس التي تنتابه بسبب محنته ويرى في استحضار خيالها مخرجا له من أسوار السجن العتمة، وتثير في نفسه حبا للحياة وبعدا عن القنوط والياس من ديمومة السجن.

وبهذا أصبح لحضور المرأة في شعرهم حاجة نفسية ملحة لإفضاء ما في أنفسهم، إذ هم يستحضرون خيالها ويفضون مكنونات أنفسهم المضطربة إليها، فنفوسهم حزينة لما ألم بها، قلقة على مصيرها، تعاني الحرمان من أبسط حقوقها.

نجد أن الشوق والحنين قد كثر بث معانيه في قصائد السجن والأسر، ولم لا فالشعراء في غربة موحشة وظلمة قاتلة، يعانون آلاما وأوجاعا، ويعيشون في الوحدة والفراغ الذي يجعلهم يتمنون الموت فيكون لهم راحة.

ومن الشعراء من ترك خلفه أبواه عجوزان يبكيانه، وزوجة تحبه وتسعى جاهدة للحفاظ على عرضه وشرفه وأبنائه الذين تركهم أمانة في رقبتها إلى يوم الدين، "فهذا الشاعر هدبة بن الخشرم يؤسر في المدينة، فيحن إلى زوجته، فهي سلوته وراحة نفسه فقد كان يحبها وكانت

جميلة وقد أحبته ووفت له، وقد جدعت أنفها وقطعت شفتيها عند قتله لئلا تحدثها نفسها بالزواج بعده"[1].

فالمرأة عند هدبة توفر له راحة نفسية، وهذا دليل على شدة حبه لها وتعلقه بها، وذلك بعد أن بقيت وفية له ومساندة له في محنته، فلم تتخل عنه ولو لبرهة، حتى وصل بها الأمر أن جدعت أنفها وقطعت شفتيها كي لايتزوجها أحد بعده.

وتشكل المرأة في هذا النوع من القصائد متنفسا للشاعر الأسير، يرجع إليها كلما شعر بالتعب والإقتراب من الموت، فيلجأ إليها طالبا العودة إلى الحياة التي تزخر بالخصب والنماء، فتغزل بها وبث لها شكواه، فكانت صدرا رحبا وقلبا كبيرا يحتمل الشكوى ويخفف من وطأة الألم وحرارة الفراق، يقول هدبة يخاطب زوجته من بعيد إنه مشتاق لزيارتها ولكن جدران السجن تمنعه، ووقفت حاجزا بينهما:"

إِنّــي عَــدانــي أَن أَزورَكِ مُــحــكَــمٌ مَتّى مـا أُحَرِّك فيـهِ ســـاقيَ يَصـــخَـبِ

حَديدٌ وَمَرصـــوصٌ بِشَـــيدٍ وَجَندَلٍ لَــهُ شُـــرُفــاتٌ مَرقَــبٌ فَوقَ مَرقَــبِ"[2]

يتضح لنا من خلال قول هدبة أن شاعرنا العذري يعاني شدة اشتياقه لزوجته بعد أن طال غيابها عنه فكان السجن حاجزا يقف أمامه، بالإضافة إلى السلاسل التي كانت تقيده، فتصعب عليه المشي والتحرك.

ونجده في موضع آخر يذكرها بكنى مختلفة، فتارة أم بوزع وتارة أخرى أم مالك، وأم الصبيين، وأم معمر، يقول في هذا الصدد:"

وَجَــدتُ بِهــا مــالَم تَجِـد أُمُّ واحِـدٍ وَلا وَجــدَ حُــبّــي بــابــنِ أُمِّ كِــلابِ

رَأَتــهُ طَويـلَ السَـــاعِـدَينِ شَـــمَردَلاً كَمــا تَشـــتَهي مِن قوَّةٍ وَشَـــبــابِ"[3]

---

[1] – هدبة بن الخشرم، ديوانه، ص8

[2] – المصدر نفسه، ص76.

[3] – المصدر نفسه، ص78.

فهو يصف حبه لها وشدة تعلقه بها، فقد فضلها وخيرها من بين كل النساء، وميزها على غيرها من بني جنسها، فقد وجد بها مالم يجده في غيرها.

ونراه يصف شدة شوقه لأم معمر وحبه الصافي والعفيف، والرغبة في لقائها، يقول:"

أَلا لَيتَ شِـــعري هل إِلى أُمِّ مَعمَرٍ عَلى مـا لَقينـا مِن تَنـاءٍ وَمِن هَجرِ
تَبـاريحُ يَلقـاهـا الفؤَادُ صَـــبـابَـةً إِلَيـهـا وَذِكراهـا عَلى حينِ لا ذِكرِ
فَيـا قَلـبُ لَم يـأَلَف كـإِلفِـكَ آلِفُ وَيـا حُبَّهـا لَم يُغرِ شَـــيءٌ كَمـا يُغري"[1]

فالبرغم من شدة الآلام التي أصابت هدبة وأحرقت فؤاده، إلا أن الأمل في الرجوع والخروج من الأسر مازال قائما، فتصبيره لأمه وأبيه نابع من صبره وتحمله للمحنة التي وقع فيها. فيهون من شأن القتل حفاظا على شيخوختهما من الجزع، يقول:"

أَبـليـانـي اليَومَ صَـــبراً مِنكُما إِنَّ حُزنـاً مِـنكُـمـا عـاجِـلُ ضُـــر
لا أَرى ذا الـمَـوتَ إِلّا هَـيِّـنـاً إِنَّ بَـعـدَ الـمَـوتِ دارَ الـمُســـتَـقَـر
اصـــبِرا اليَومَ فـإِنـي صـــابِرٌ كُـلُّ حَـيٍّ لِـقَضـــاءِ وَقَـدَر"[2]

فهدبة يطلب من والديه أن يصبرا لماأصابه، وأن الموت هين بالنسبة له وأن بعد الموت جنة الخلود فيستسلم بهذا لحكم القضاء والقدر، وأن المنية تأتي في حينها لا مرد لها ولا يسلم منهاأحد، فهو عن طريق هذه الأبيات يحاول التخفيف عنهما شدة الموت ووقعه على من يحبه ويفتقده.

ونجدها في موضع آخر تخاطب أهل المدينة أن يرأفوا ويكرموا ولدها الأسير، فشأنها شأن كل أم تخاف على ولدها من نسمة الهواء ومن المصائب التي ستصيبه في السجن. قالت أمه:"

أَيَـا إِخْوَتِي أَهْـلَ المَـدِينَـةِ أَكْرِمُوا أَسِـــيـرَكُـمُ إِنَّ الأَسِـــيـرَ كَـرِيـمُ
فَـرُبَّ كَـرِيـمٍ قَـدْ قَـرَاهُ وَضَـــافَـهُ وَرُبَّ أُمُـورٍ كُـلُّـهُـنَّ عَـظِـيـمُ

[1] -المصدر السابق، ص ص101-102.

[2] - المصدر نفسه، ص107.

عَصَـــى جلُّهَا يوماً عليه فراضَـــه من القوم عَيّافٌ أشـــمُّ حليمُ" [1]

فهي تخاطب أهل المدينة وتنسب هدبة إليهم بقولها 'أسيركم' فهو جزء من النحن (القبيلة) وعليهم أن يقفوا بجانبه ويساندوه في محنته وينصرونه في قضيته وهذا مالاحظناه من خلال شعره، وقوف قبيلته معه في محنته، ورد في ديوانه أن عذرة مشت إلى عبد الرحمان فسألوه قبول الدية، فامتنع، بالإضافة إلى تعاطف أهل المدينة مع هدبة لقوة صبره وشجاعته ولرقة شعره ووفائه، فانحازوا لكفة هدبة على كفة ابن عمه عبد الرحمان وعرض كثيرون الدية عليه من أمثال: علي بن أبي طالب، سعيد بن العاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب... وسائر القوم من قريش فأبى عبد الرحمان أخذ الدية.

يحن الشاعر ويتشوق إلى من يحبه وذلك عند مكابدة ومعاناة المصائب في سجنه، وهذا الشوق والحنين ملازم له لا ينفك عنه حتى لو فارق الحياة، كحب هدبة بن الخشرم العذري لأم مالك أو أم الصبيين، فقلبه لم يألف كإلفها امرأة قبلا، ولم يحب كحبها أحد فبعدها عنه لم يزده إلا حبا ولهفة للقائها، فهي تخطر بباله ولاتفارق ليله ونهاره.

فالشاعر هدبة المحب يرى في الشوق دواءلقلبه المجروح، وينم هذا الشوق عن صدق حبه وولعه بزوجته وحبيبته ورفيقة دربه.

فنجده يستعين بالخيال ليحلق في فضاء محبوبته ويخفف من معاناته:"

خَيـالٌ سَـــرى مِن أُمِّ عَمروٍ وَدونَهـا تَنـائِفُ تُردى ذا الهِبـابِ المُيَسَّـــرا

طَروقـاً وَأَعقـابُ النُجومِ كـأَنَّهـا تَـوالـي هِـجـانٍ نَـحـوَ مـاءٍ تَـغَـوَّرا"[2]

فقد كانت أم عمر بمثابة المتنفس عن أحزانه وهمومه، فيذكرها ويناجي طيفها لشدة شوقه لها راغب في لقائها، فمالسبيل للترفيه عن نفسه إلا أن يراها في حلمه ويزوره طيفها، فهو يراها في كل شيء جميل، فصورتها لا تزال راسخة في مخيلته لا تفارقه.

[1] – ينظر: يحيى الجبوري، ديوان هدبة بن الخشرم، ص15.

[2] –المصدر نفسه ص93.

لقد اجتاز حب الشاعر هدبة لزوجته كل المسافات الطوال، وكل العوائق التي صادفته دون أن ينكسر أو ينقص، فعانى لأمرين: مرارة العذاب والأسر، ومرارة بعده عن زوجته وشوقه لها.

فقد ظهرت زوجته على قدر من الخلق الحميد، فقد حفظته وصانت نفسها من اللئام الخونة الذين كانوا يتعرضون لها، كما نجدها مطيعة له تلبي أوامره وتتجنب نواهيه.

ولزوجته الحرة مشاهد في الالتزام والوفاء له ولدينها ومبادئها وقوميتها، فلم نشهدها في شعره تقارن نفسها بغيرها، كما لم نشهدها مقبلة على الدنيا بملذاتها.

ويتجلى لنا خلقها الحميد والتزامها بدينها، ماورد في شعر هدبة "انها مضت إلى السوق وأعطت قصاب درهمين مقابل شفرته، فقربت إلى الحائط وأرسلت ملحفتها على وجهها، فقامت بجدع أنفها وقطع شفتيها"[1]، فهذه الحادثة تؤكد لنا أن امرأته كانت على قدر عال من الخلق، فلم ترفع ملحفتها أمام رجل غريب لأنها تعلم أنه لا يجوز أن تتكشف على رجل غريب عنها.

أما فيمايخص طاعتها لزوجها وتلبية أوامره ومنحه حقه الشرعي، هذا مانجده في ديوان هدبة الشعري. ففي الليلة التي قتل في صباحها أرسل إلى امرأته وكان يحبها: ايتني الليلة استمتع بك وأودعك فأتته في اللباس والطيب، فصارت إليه، فحادثها وبكى فبكت،ثم راودها عن نفسها وطاوعته. يقول:"

وأدنَيتِني حَتّى إذا ما جَعَلتِني ... لَدى الخَصرِ أَو أَدنى استَقَلَّك راجِفُ

فإِن شِئتِ واللَهِ انصَرفتُ وإِنَّني ... مِن أَن لا تَريني بَعدَ هَذا لَخائِفُ

رأَت ساعِدي غولٍ وَتَحتَ ثيابِهِ ... جَناجِنُ يَدمى حَدُّها وَقَراقِفُ"[2]

فيتضح لنامن خلال هذه الأبيات أن أم معمر كانت بالنسبة لهدبة الزوجة والحبيبة والرفيقة التي تداوي جروحه وتروي عطشه، ومنفس لآلامه وآهاته، فهي بالنسبة له منبع الحياة وشعاع الأمل الذي يضيء عتمته وينير دربه، فكانت هذه الأخيرة زوجة صالحة على قدر عال من الخلق وكذلك مطيعة لأوامره، فعندما أراد رؤيتها قبل موته وافقت على ذلك وتطيبت له وبكت

[1] –المصدر السابق، ص20.

[2] –المصدر نفسه، ص18.

لرؤيته وربما يعود السبب لشوقها له، وكذلك للحالة المزرية التي آل إليها من هزال وشيب وكبر ورائحة نتنة وآثار القيود التي على رجليه ويديه إلا أنها عندما راودها عن نفسها طاوعته، لأنها مقتنعة أنه يطلب حقه الشرعي فلبت طلبه. فما إن سمعت قعقعة الحديد، أظهرت خوفها وقامت فازعة وهذا دليل على حيائها وحشمتها. أما بالنسبة لخوف هدبة فقد كان بسبب خوفه من الله ومن السلطان.

تبلورت الطاعة عند زوجة هدبة من جانبين أولهما: تلبية أوامره كما سبق الذكر، وثانيهما: اجتناب نواهيه ويتجلى هذا الجانب عندما أمرها بأن لا تتزوج بعده –بعد موته– فهو لم يكن بمعنى الأمر وإنما كانت وصية ميت وجب تنفيذها. يقول وهو يوصيها:"

فـأوصـــيـكِ إن فـارقتِني أُمُّ عـامِرٍ وَبَعضُ الوَصـــــايـا في أَمـاكِنَ تَنفَعـا

وَلا تَنكَحي إن فَرَّقَ الـدَهرُ بَينَنـا أَغَمَّ القَفـا والوَجــه لَيسَ بـأَنزَعـا"[1]

فهدبة يوصي زوجته بأن لا تنكح أحدا غيره إن فرق الدهربينهما، فتحس من خطابه لها وكأنه واثق ومتيقن أنها لن تخونه ولن ترض بزوج آخر غيره، فهو يرى في وصيته منفعة له ولها، فهو في طريق الموت وسوف يدفن حبه معه، أما بالنسبة لزوجته فيعلم بأنها لن تخذله ولن تسمح لأحد بأن يكون زوجها غيره، وهذا دليل على شدة حبها وتعلقها به وإخلاصها له ووفائها.

وخير دليل على وفائها أنها قد قامت بجدع أنفهاوقطع شفتيها،فقامت بتشويه منظر وجهها الجميل كي ينفر منها الرجال ولا يقبلون بها زوجة، فهي بهذه الجريمة التي ارتكبتها في حق نفسها تحاول أن تثبت له شدة تعلقها به، وكذلك لتطمئنه بأنها لم تعد تصلح لرجل بعده، فهي تريده أن يموت مطمئن البال.

ونجدها في موضع آخر تولول وتقوم بقطع قرون شعرها. وذلك لشدة حزنها عليه فهي الآن أصبحت متيقنة أنه سيموت وأنها لن تراه مجددا. فجزعها هذا وليد عاطفتها الصادقة المحبة لزوجها، ففدته بنفسها وشعرها وحتى جمال وجهها فقالت في سبيل الله شبابك وجلدك وشعرك وكرمك. فيأمرها هدبة قائلا:"

[1] – المصدر السابق، ص ص113–114.

تَعَجَّبُ حُبّي مِن أَسيرٍ مُكَبَّلٍ صَليبِ العَصا باقٍ عَلى الرَسَفانِ
فَلا تَعجَبي مِنّي حَليلَةَ مالِكٍ كَذَلِكَ يأَتي الدَهرُ بِالحَدَثانِ"[1]

ويقول أيضا:"

أَقِلّي عَليَّ اللَومَ يا أُمَّ بَوزَعا وَلا تَجزَعي مِمّا أَصابَ فأَوجَعا
فَلا تَعذُليني لا أَرى الدَهرَ مُعتِباً إِذا ما مَضى يَومٌ وَلا اللَومَ مُرجِعا"[2]

يتضح لنا من خلال الأبيات أن شاعرنا العذري هدبة يحاول من خلال كلامه أن يخفف الحمل على رفيقة دربه فيطلب منها بأن لا تعجب للحالة التي أصبح بها من هزال وشيب وضعف وكبر بالرغم من صغر سنه وشبابه، بالإضافة إلى القيود التي تكبله مما يصعب عليه التحرك، فهي لم تعهد زوجها على هذه الحالة من قبل، فكان شابا شهما ضخما جميلا وشجاعا والآن تراه في موقف ضعف ويرد هذا التغيير إلى الدهر (الزمن) فالزمن كفيل بتغيير الأحوال، فلا يأمن له صاحب، فلما أحس بفراقها الذي لا لقاء بعده، طلب منها بأن لا تجزع عليه وأن تقل اللوم عليه. فلن يستطيع تحمل ملامتها له، ووجعها عليه.

[1] – هدبة بن الخشرم، ديوانه، ص147.

[2] – المصدر نفسه، ص113.

1)صورة المرأة:

للمرأة في شعر هدبة بن الخشرم حضور خاص، فرضته الحياة التي عاشهافي بيته وخارجه، فنظر إلى المرأة من زوايامختلفة مما أدى إلى تعدد الصور الواضحة للمرأة في جميع تجلياتها، وبكل أحاسيسها وسلوكياتها، انطلاقا من حضورها المكثف في ديوانه ثم ترتيب الموضوعات حسب الأولويات وحسب أهمية وقر كل امرأة عن الشاعر أو بعدها عنه.

أ)صورة الأم:

حظيت المرأة بمنزلة مرموقة في الشرائع السماوية، علاوة على القوانين ونجد النص القرآني يقدم لنا الأم في أكرم صورة.

واستمدت الأم من اللغة العربية معنى الأصالة والعموم والأهمية البالغة، ذلك أن أم كل شيء أصله.

واكتسبت من الذكر الحكيم مدلول القداسة والطهارة، "إذ كانت العرب تسمي الأرض أما، لأنها مبتدأ الخلق، وإليها مرجعهم ومنها أقواتهم وفيها كفايتهم"[1].

كما أوصى القرآن الكريم بالأم في مواضيع عدة فقدأوصى بها في سورة لقمان في قوله جل جلاله: "وَوَصَّينَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْه حَمَلتْهُ أمُّهُ وَهْنًاعَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَينِ أَن أشكُرْ لِي وَلِوَالِدِيْكَ إِليَّ المَصِير"[2]

ولوالدة هدبة صورة تفيض حنانا، وورعا كيف لا وهي التي تولت تربيته، فمنحته حبها وحنانها وفرحت لفرحه وحزنت لحزنه، وتألمت لمرضه وسهرت لسهره.

فأمه ريحانة مثلها مثل سائر الأمهات تخاف على ولدها من أن يصيبه مكروه، فلما دخل السجن قامت بمناداة أهل المدينة أن يرأفوا بولدها ويكرموه وأن لا يلوموه على فعلته حتى لو أخطأ.

---

[1] –ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن الكريم، شرح ونشر: السيد أحمد صقر، دار التراث، ط2، 1973م، ص104.

[2] – سورة لقمان، الآية 14

كماظهرت صورة لأمه التي تخاف على ابنها أن يصيبه مكروه ويقع في مشكلة يصعب حلها أو تِؤدي بحياته، "فعندما ذهب هدبة إلى زيادة طالبا إياه أن يقتله حذرته من الخروج، لكنه لم يسمع نصيحتها"[1].

عاشت أمه ثورة نفسية لبعدها عن ابنها الأسير، فظهرت لنا صورة الأم الصبورة والجزعة ،في آن واحد على ابنهاالذي ينساق إلى الموت أمام عينها ولا تستطيع أن تفعل أي شيء لتخلصه من الموت، فطلب منها الصبر على ماأصابه وعلى موته، خوفا عليهامن كبرها وشيخوختها.

ب)صورة الزوجة:

كرم الإسلام الزوجة ورفع من شأنها وميز مركزها وقرنها بالرجل في معظم الآيات القرآنية، فمنحها الإسلام حقوقها كاملة غير منقوصة، فنالت حقها في الإرث من أبيها أوزوجها أو أبنائها.

وجعل الإسلام أساس العلاقة بين الزوجين المودة والرحمة، فأعطاها حقوقا حفظت كرامتها وفي المقابل جعل لها واجبات معينة تؤديها.

فكان لحضور زوجة هدبة في شعره قدر كبير، ولا سيما وهو بعيد عنها ومأسور ولا يستطيع رؤيتها ولقائها ممازاده حنين وشوق لها وللقاها، فهي من تخفف عنه أعباء الحياة وظلمة السجن ونفسيته الكئيبة، فهي مصدر الأمل، فبها يقوى ويتشبث بالحياة.

فحضورها لم يغب عن ذكرياته ولاليلة، فهذا دليل حبه لها لدرجة الولع، وتعلقه بها لحد ألفها فلا يستطيع نسيانها، فهو يرى حياته غير مكتملة بدونها. فزاد تعلقه بها لوقوفها بجانبه وعدم التخلي عنه، فكانت وفية ومخلصة لزوجها في حياته وحتى بعد مماته.

ج)صورة الأخت:

لم نجد صورة لأخته في شعره، إلا أن سبب الخصام بينه وبين ابن عمه زيادة كان بسبب "أخته فاطمة عندما سمع أن زيادة زجر بها، فغضب هدبة غضبا شديدا، فقام يزجر أخت زيادة

[1] – المصدر السابق، ص12

أم القاسم، فما زاد الطين بلة هوزجر زيادة بأخت هدبة في حضورها، أما هدبة فزجر بأخت زيادة في غيابها"[1].

فنلحظ في قصة هذه الخصومة خوف هدبة على عرض أخته وصونها إياه، حتى لو بلغ الأمر حد القتل، فما لبثت الخصومة إلا أن زادت النار اشتعالا وزاد الحقد بينهما، فكثر الشتم والسب بين هدبة وابن عمه، حتى وقع مالم يكن في الحسبان وهو قتل زيادة على يد هدبة بن الخشرم.

ثانيا-الشوق الى القبيلة:

يقوم السجن على الحرمان من الحرية، فقد وقف حائلا بين الشعراء الأسرى وأهلهم، فلا يستطيع التوصل إليهم، أو حتى الإطمئنان عليهم، فما كان أمامهم إلا الاستسلام لقوانينه، أو الثورة والتمرد.

إلا أن طبيعة الإنسان باعتباره كائنا اجتماعيا يحتاج الى التواصل مع الآخرين وبناء علاقات متنوعة معهم، ولا يستطيع العيش بعيدا عن ذلك الوسط الحيوي، فهو بحاجة دائمة إلى الانتماءوالارتباط بالآخرين، وعليه "فإذا حرم الإنسان من شيء مرغوب فكر فيه أكثر مما كان يمتلكه"[2] ، وركب في سبيل الوصول إليه المخاطر -فحرمان السجين من أي جانب من جوانب الحياة وحاجياتها الأساسية "يدفع بصاحبه بالضرورة إلى تعويض محتوم"[3].

فقد كان الشعر الوسيلة المثلى للتواصل بالأهل والأحباب، يفضون إليهم أشواقهم، ويصبرونهم وأحيانا يشتكون لهم أحزانهم. فكان للتواصل مع الأهل أثرا على نفسية الأسير، فقد حاول من خلاله أن يصنع عالما خاصا به يهرب به من واقعه المرير بحثا عن بعض أجواء السعادة والفرح في ربوع الماضي.

---

[1] -المصدر السابق، ص9.

[2] - جان كازونوف، سيكولوجية أسير الحرب، تر: عدنان سبيعي وخليل شطا، دار الطباعة والنشر، ط1، سوريا-دمشق، 1983م، ص37.

[3] - المرجع نفسه، ص15.

ويبدو أكبر مساحة للحوار والتواصل هي تلك التي منحها الشعراء للأم والزوجة والحبيبة كونهاأول المتألمين للفقد وأشدهم حزنا

كماأشار هدبة بن الخشرم إلى أمه وأبيه عندما كان يساق إلى الموت بأن يصبرا لماأصابه ولموته فيخبرهم أن الموت هين وأن مصيره دار المستقر.

كما تحدث وبشكل واسع عن حبيبته وزوجته التي كانت سندا قويا له، فقد كانت رفيقة نضاله فكان يستحضر طيفها ليخفف من عذابات السجن.

وعليه كانت الزوجة بالنسبة للشاعر الأسير الباعث للطمأنينة والمريح للنفسية المضطربة فكانت بمثابة النور الذي يضيء ظلمته العاتمة، وطائره الذي يحلق في سماء الحرية.

تمهيد:

تمثل القبيلة في كل المجتمعات السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية في الوقت ذاته ويرتبط أفراد هذه القبيلة برابطة الدم والقرابة، فإذا تعرض أحد أفرادها لسوء، تعاضدت وتكاتفت لرد السوء والمطلمة عن ابنها، فالذي يصيب الفرد يصيب الجماعة، هذه الصورة التي في الأذهان عن دور القبيلة في حماية أفرادها.

وتتمثل القبيلة عند الشعراء بالأهل والأقارب والأصحاب، وكل مايدعو للراحة النفسية وضمان الحماية من غدر الزمان وظروف الدهر ونوائبه. من هنا تشكلت لدى الشاعر –كغيره–أهمية القبيلة في حياته، فهي من تشكل للأفراد كينونتهم، وتكون لهم العون والسند في الشدائد والمصائب وحتى الأفراح، وهي حاجة نفسية واجتماعية لا يستطيع الإنسان العيش دونها حيث إنها تدخل في المكونات الأساسية لبيئة الفرد أيا كان.

والشاعر كأي إنسان في هذا المجتمع بحاجة إلى قبيلته. ينتمي إليها يحقق فيها ذاته ويستقي منها قوته، يحتمي بها ويذود عنها، هذا هو حال القبيلة للشعراء الذين يمارسون حياتهم بشكلهاالطبيعي المعتاد، فكيف هو الحال عند الشعراء الذين تخيم عليهم عتمة السجن وظلامه؟ ممن حرموا من أدنى حقوقهم الطبيعية! من المؤكد أنهم أشد حاجة للقبيلة من سواهم، فهم يتوقعون منها تخليصهم من ظلمة السجن ومرارة الحبس، حيث تعتبر القبيلة أهم مكامن القوة التي يستندون عليها أملا في الخلاص إما بفدية أو رهينة. من هنا اتخذ الشعراء المحبوسون مواقف من قبائلهم تعددت بتعدد التجربة التي خاضها كل شاعر منهم، وبطبيعة الرابط الذي يربطهم بقومهم وأهلهم، فعلاقة الفرد بالقبيلة علاقة تناغمية تنشأ من إيمانه بها.

تجليات ظاهرة الشوق في شعر هدبة بن الخشرم العذري:

ينحدر هدبة من قبيلة عذرة، فقد كان هدبة شاعر القبيلة كما كان الأمر في البادية، فمهما تكن المكانة التي يحتلها الشاعر في قبيلته فهو يسهم بالتظاهرات الأساسية في حياة الجماعة فهو يشارك في الغزوات، والمعارك كافة، وهذا ماجرى عند قتل زيادة وأصبح شعره في ذلك الوقت يصور النزاع القبلي.

ولم يكن الشاعر القديم لسان حال القبيلة، وحامل لوائها فحسب، بل كان يعيش دوره في ظل قبيلته، فينشد شعرا يفتخر بها، لأن مصير القبيلة مصيره. وليس الأنا من حدود إلا حدود أسرته أو المجموع الذي ينتمي إليه.يقول هدبة مفتخرا بنفسه ونسبه:"

إنّي مِن قُضـــــاعَــةَ مَن يَكِـدهـا أَكِـدهُ وَهــيَ مــنّــي فــي أَمــانِ"[1]

فشاعرنا يفخر بأصله ونسبه، فهو مستعد للتضحية من أجل قبيلته وأن يفدي بنفسه من أجل حمايتها .فليس يريد بهذا الكلام نسبة نفسه إلى قضاعة فقط بل بل يريد اختصاصه بهم وتعصبه لهم .فنراه يفخر أمام خصومه أن أباه قد أذلهم وانتزع منهم الأموال. كذلك ينطبق الأمر نفسه على قبيلته فقد ساندته ووقفت معه في محنته، وخاصة عندما طلبوا من أخو زيادة أن يقبل الدية، فالذي يصيب الفرد يصيب قبيلته .

يقول أيضا :"

وَلَسْــتُ بِشَــاعِرِ السَّــفْسَــافِ فِيهِم وَلَــكِــن مــدره الْــحَــرْب الْــعــوَان"[2]

وهو كثير الحديث عن قوته وسلطته التي استمدها من أبيه، فهو شجاع وفتي وصلب يتحمل الصعاب والمخاطر من أجل حماية قبيلته ونصرتها، والحرص على شرفها وعزتها ويهجو من عادتها.

يقول في ذلك :"

سأَهجو مَن هَجاهُم مِن سِواهِم وأَعـرِضُ مِـنــهُـم عَـمَّـن هَـجــانــي"[3]

فهو يبغض كل من يهجو قبيلته من خصومها وأعدائها، فكان الشاعر يقوم بذم خصوم قبيلته ويظهر عيوبهم، في حين يقوم بإبراز وإظهار مناقب قبيلته .

فكانت القبيلة المنشد الرئيسي لشعراء السجن والأسر، وذلك بغية تخليصهم من حبسهم وإعادة كرامتهم المسلوبة إليهم.

---

[1] –المصدر السابق، ص146.

[2] –المصدر نفسه، ص ن.

[3] –هدبة بن الخشرم، ديوانه، ص ن.

كان للغزل دور كبير في حياة الشاعر الأسير فبواسطته استطاع أن يعبر عن عاطفة الحب للمرأة التي اختارها قلبه، وليعبر عن عاطفة إعجابه بجمالها كما يراها هو لا كما يراها غيره ويتغزل بها ليعبر عما في نفسه .

فبالرغم من شيوع الغزل على كثير من الأغراض الشعرية عن العذريين، إلا أنه كان على استحياء فيما يخص وصف المحاسن الجمالية للمرأة، وذلك لما كان في العصر الأموي والإسلامي من خصوصية دينية وعرفية تمنع كلا الزوجين من إبراز مواطن الجمال والحسن لدى الآخر، فالشاعر لم يذكر مفاتن زوجه ولم يتطرق إلى أوصاف من شأنها أن تسقطه من عين المجتمع، فغزله لا يتعدى تشبيه المحبوب على العموم بعنصر من عناصر الطبيعة الحية الدالة على الجمال.

يقول هدبة ذاكرا محاسن زوجته المعنوية، فيشبه فم سعيد بن العاص بفمها :"

وَلَمّـا دَخَلـتُ السِـــجنَ يـا أُمِّ مـالِـكٍ ذَكَـرتُـكِ والأَطـرافُ فـي حَـلَـقٍ سُـــمـرِ

وَعِنـدَ سَـــعيـدٍ غَيرَ أَن لَم أُبَح بِـهِ ذَكَـرتُـكِ إِنَّ الأَمـرَ يُـذكَـرُ بـالأَمـرِ"[1]

فالشاعر يرى أن التشهير بمحاسن زوجته أمر غير لائق، وعليه فهو لم يستطع البوح بأن فم سعيد بن العاص–كان حسن الفم– يشبه فم زوجته، لما في ذلك من تعدي على قيم وأخلاق المجتمع الأموي وعرفه.

فغزل هذا الأخير يتميز بالعفة والطهارة، فهو حب صادق نابع من القلب، ناتج عن صدق مشاعره وأحاسيسه، فكانت زوجته الوسيلة الوحيدة التي يخفف بها عن آلامه وتحقق له الطمأنينة والراحة النفسية.

فهو يبدي الرضا بمصاحبة تلك الزوجة، التي كانت من خير الأصحاب له في الدنيا، فكانت زوجته حبه الأول والأخير، فقد أحبها لدرجة أنه هواها وألفها وأصبح لا يستطيع العيش بدونها فكانت حاضرة دائما في باله وذكرياته. يقول في ذلك: "

[1] –المصدر السابق، ص106.

أَبى القَلـبُ إلّا أُمَّ عَمروٍ وَمـا أَرى نَواهـا وَإن طـالَ التَـذَكُّرُ تُسـعِفُ"[1]

ويقول أيضا :"

كَلِفـتُ بِهـا لا حُـبَّ مَن كـانَ قَبلَهـا وَكـلُّ مُـحِـبٍّ لا مَـحـالَـةَ آلِـفُ"[2]

ومن صور الإعجاب بالزوجة ودوافع الغزل بها أن مجرد ذكرها يجعل الشاعر يحلق بخياله وينظم أحلى الكلام وأعذب المعاني، فيسرح الشاعر بخياله ويصف لنا رائحة زوجته الطيبة التي تفوح في بقاع الأرض كلها يقول في ذلك:"

شَـمُولٌ كأَنَّ المِسـكَ خالَطَ ريحَها وَضُـمِّنَـهـا جَونُ المـنـاكِـبِ أَكلَفُ

تُشـابُ بِماءِ المُزنِ في ظِلِّ صَـخرَةٍ تَقيهـا مِنَ الأَقـذاءِ نَكبـاءُ حَرجَفُ"[3]

فالشاعر حين يقرن رائحة الزوجة برائحة العطور الزكية الطيبة، فهو يوحي بذلك إلى عذريتها ورقتها ومدى الإعجاب بها.

من خلال ماسبق نستطيع القول أن الوحدة التي يعيشها الشاعر في السجن، وشعوره بالغربة داخله، جعل المشاعر عنده تتأجج، فتشتاق نفسه إلى من يحب وهذا مالاحظناه عند تكرار الشاعر للفعل 'ذكرتك' كأنه يوحي إلى أن العقل والقلب مشغول بها، فذكرها يخفف من آلام غربته ووحدته، كما أن ذكرها يجعله حرا طليقا، وأن حبه وعشقه لها لا يستطيع أن تقيده الجدران، فأحاسيسه وعواطفه لايقوى أحد على أسرها. فكانت هذه القفار الواسعة هي مايعوق وصول المحب إلى حبيبته، فهذا السجن كما يعد سجنا للجسد فإنه يعد أيضا سجنا للروح والتنفس والنظر، ويمنع المشتاق من أن تأنس نفسه وروحه من رؤية الحبيب ولقياه، فشاعرنا العذري هدبة بن الخشرم يشكو منه وتتعذب نفسه حين يشتاق ويحن إلى زوجته، ولكن القيد والحديد والحرس والجدران تمنعه من تحقيق مايطمح إليه قلبه من وصل زوجته، وهنا تظهر عند الشاعر حالة من الصراع واليأس بين الجسد والروح فالجسد محبوس لا يستطيع التخلص

[1] –المصدر السابق، ص121.

[2] –المصدر نفسه، ص121.

[3] – المصدر نفسه، ص122.

من أسره والروح مشتاقة مندفعة بأحاسيسها وعواطفها إلى الزوجة. وبهذا يعيش شاعرنا معاناة حقيقية تجلب له الحزن والأسى.

وعليه فالمرأة تعتبر محور اهتمام الشعراء الذين وصفوها على مر العصور بأحلى وأجمل النسيب، وقد كانت صورتها واضحة المعالم في الكثير من العصور باعتبارها الملهم لعملية الإبداع الشعري الذي يشكل الإرهاصات الأولى لبناء الموهبة لدى الرجل الشاعر فقد أخرجها من حدود أبعادها الجنسية، وسواء كان هذاالشعر حقيقة أم تجربة متخيلة مازالت المرأة ملهمة للأدباء الشعراء وقد شغلت حيزا وافرا من وجدان الإنسان.

1) الغربة والبعد:

أ) غربة النفس التي يعانيها السجين:

لا شك أن السجين يمر بأنواع كثيرة من التقلبات تؤثر على انحطاط حالته النفسية بتراكماتها السلبية والتي تنعكس على حياته، وهذا يتجلى فيما يقوله هدبة عن الإغتراب الذي أصابه في زاوية السجن:"

يـؤَرِّقُـنـي اكـتِـئـابُ أَبـي نُـمَـيـرٍ فَـقَـلـبـي مِـن كـآبَـتِـهِ كَـئـيـبُ"[1]

أي أن حال ابن عمه – أبي نمير– الذي كان سجينا معه، كان يؤرق هدبة، وهو مكتئب ومنكسر، لأنه مفجوع في أمره والمصيبة التي وقع فيها – فالكآبة بادية على وجهه وذلك من أثر الحزن.

ب) البعد عن الأهل:

يقول هبة بعد أن فقد حريته وقيد في السجن، فدب الخوف في قلبه :"

فـيـأمـن خـائـف ويـفـك عـان* ويـأتـي أهـلـه الـنـائـي* الـغـريـب"[2]

فكان يؤمل نفسه بأن يفك قيده وأن يعود إلى أهله بعد طول غياب، ويتخلص من الخوف الذي يدل في أصله على الفزع والذعر، الذي ماانفك يلاحقه في كل لحظة، ويكابده ببعده عن أهله وأحبائه، فهو مغترب عن كل مايحيط به .

ج) البعد عن الأصحاب:

ولأن بعد الأصحاب ضعف ومرارة، والإنسان ضعيف وهزيل لوحده فلا يوجد من يسمعه ويستنجد لصراخه، يقول في هذا:

فَبَعـدَكَ سَـــدَّتِ الأَعـداءُ طُرقـاً إلـيَّ وَرابَـنـي دَهـرٌ يَـريـبُ

---

[1] – المصدر السابق، ص59.

[2] – المصدر نفسه، ص59.

- عان: مأسور
- *ناء: بعيد عن الأهل والأحبة

فنتيجة غياب صاحبه عنه ترك في داخله حزنا، وتغيرا في أمره، وتقلبا في حياته، فالاغتراب الروحي الذي أبعده عن أصحابه، وتراكم الأحزان وتعاقبها عليه، في هذه الحالة جعله يعيش حالة من الصراع الداخلي للنفس .

د) البعد عن الديار:

ينتقل هدبة إلى هذه الصورة بعد ما عانى ما عاناه من بعده عن الأهل والأصحاب بقوله :

أَتُنكِرُ رَسمَ الدارِ أَم أَنتَ عارِفُ أَلا لا بَلِ العِرفانُ فالدَمعُ ذارِفُ

فحزن هدبة من نمط خاص لأنه قد يجتمع فيه ظاهرا بكائه على الأطلال وفي باطنه صورة أخرى لأحزان متوالية، كغربة السجن والقصاص والبعد عن الأهل والأحبة .

وعليه فشعر هدبة عذب صادق نابع من صميم قلبه لأنه عاش تجربة الحزن الحقيقية من خلال إدراكه نهايته الحتمية، وبعده عن الزوجة والأهل، إذ ليس للخيال دور في أبياته فهي مستقاة من واقعه المعاش.

بعدت المسافات بين هدبة بن الخشرم وزوجته فأثقلت الهموم كاهله، وطالت عليه الساعات فأصبح ليله موحش كئيب لفراقها، فكان ليله موجع يتذكر فيه محبوبته وأيامه التي كان يقضيها برفقتها. يقول في ذلك:"

وَلَيلٍ لألقى أُمَّ عَمروٍ سَرَيتُهُ يَهابُ سُراهُ المُدلِجُ المُتَعَسِّفُ"[1]

وقوله أيضا:"

يؤَرِّقُني اكتِئابُ أَبي نُمَيرٍ فَقَلبي مِن كآبَتِهِ كَئيبُ

فَقُلتُ لَهُ هَداكَ اللَهُ مَهلاً وَخَيرُ القَولِ ذو اللُّبِّ المُصيبُ"[2]

أما زوجته فقد تحملت أهوال الزمان، فعاشت مرارة أسرة وحزنت لهول مالقاه وماسمعته، فاقترن ذكرها بصورة الحزن والبكاء واللوعة، فقد تركهت وحيدة خلفه تكابد مشاق الحياة وصعوبتها.

---

[1] – المصدر السابق، ص 122.

[2] –المصدر نفسه، ص59.

فهذا هدبة يستحضر زوجته في أشد حالاته ضعفا، وهو يترقب الموت بين اللحظة والأخرى، واستحضارها وتذكرها في مثل هذه الأوقات يشير إلى مدى الراحة والإطمئنان، فذكرها أنساه ماهو فيه، فهو لايريد أن تهتز صورته أمام محبوبته، وأن تبقى صورة الفارس الشجاع الذي لايخشى الموت ولا يهابه، وأن ماأصابه له علاقة بالدهر، فهذا الأخير ليس كفيل بالإئتمان فهو متغير ومتقلب يقول:"

فَلا تَعجَبي أُمَّ الصَبيِّنِ قَد تُرى بِنا غِبطَةٌ والدَهرُ فيهِ عَجارِفُ

عَسى آمِناً في حَربِنا أَن تُصيبَهُ عَواقِبُ أَيامٍ وَيَأمَنَ خائِفُ"[1]

نستنتج مما سبق أن المرأة (الزوجة) بالنسبة للشاعر الأسيرتعد ضربا من الراحة النفسية والإطمئنان، فاسترجاع الذكريات والعودة إلى الماضي الجميل يدخل البهجة والسرور وينسيه ماهو فيه من ظلمة السجن، فيكون ذكرها عونا له يستمد منه الأمل والقوة لمواجهة محنة السجن.

فالزمن كفيل بأن يغير حال الإنسان من سيء إلى أسوء ومن جيد إلى سيء، وفي بعض الأحيان من سيء إلى أحسن حال، فالزمن كفيل بأن يقلب كل الموازين ولا يبقى شيئا على حاله، وعليه فالدهر فيه مزالق وهفوات قد تستطيع النجاة منها وقد تقع فيها، ولكن الذكي من يأخذ الحيطة والحذر ولا يكون عرضة المزاح الذي كانت نتيجته وخيمة على جميع الأطراف.

[1] -المصدر السابق، ص130.

خاتمة

خاتمة:

لا بد لنا ونحن ننهي هذا البحث الموسوم بظاهرة الشوق في شعر السجون عند هدبة بن الخشرم، أن نقف وقفة وجيزة لاستعراض أهم النتائج التي توصلنا إليها والتي نوجزها كالآتي:

1. صور لنا شعر السجون بصدق الانسان المعذب المسحوق في آلامه ومعاناته مما جعله شعرا إنسانيا.
2. نلمس تجديدا في شعر هؤلاء الشعراء المساجين إذ أن أغلب قصاءدهم لا تبدأ بمقدمة طللية أو نسيب.
3. إن شعر السجون هو الذي ولد من رحم الظلمات ونظمت كلماته وراء جدران الزنازين وهو شعر وجد من القدم وقد بلغ أوجه في العصر الحديث بسبب الأوضاع السياسية المزرية التي تعيشها الأمة العربية.
4. تطرقنا لدراسة موضوعات أدب الأسر من جانبين، النفسية والعاطفية، والتي من أبرزها: الصبر والخوف من الموت والأمل في الحياة، بالإضافة إلى الحنين والشوق للأهل والأحبة والأصدقاء.
5. تركزت أشعار هدبة بن الخشرم العذري الأسرية على الشكوى، فشكى الدهر والسجن والسجان والقيد، فعبر عن موقفه من هذه التجربة الأليمة من خلال أشعاره الأسرية.
6. إن شعر هدبة عذب صادق نابع من صميم قلبه لأنه عاش تجربة الحزن الحقيقية من خلال إدراكه نهايته الحتمية، وبعده عن الزوجة والأهل، فشعره مستقى من واقعه.
7. وجدنا معجمه الشعري يزخر بألفاظ الحزن والألم تارة والصبر والتحمل تارة أخرى، إلا أن ماغلب على شعره غرض الحكمة، فكان حكيما، مؤمنا بقضاء الله وقدره، فكانت لغته وأسلوبه ترتكز على الوضوح والبساطة بعيدة عن التكلف والتصنع، فأبياته مستوحاة من الآيات القرآنية بمنهجها الشمولي في أداء المعنى المراد نقله للآخرين.
8. إن شعراء السجن قد عبروا عن أحساسهم العميق بكل عفوية سواء ماتعلق بالقضايا الوطنية كالحنين إلى الوطن أو ملتعلق بحياتهم الشخصية كالحنين إلى الأهل والأحبة–

وخاصة– الزوجة التي لعبت الدور الأكبر في حياة الأسير فكانت مبعثا للأمل ونورا يضيء ظلمته، فكانت مطمئنا لنفسيته المضطربة.

وفي الختام أسأل الله أن أكون قد وفقت فيما توصلت إليه من نتائج.

✓ **ملخص:**

لقد شكل السجن هاجسا قويا لدى شعراء الأمة العربية ودفعهم إلى الخوض في غمار تجربة شعرية أسموها شعر السجون، للتعبير عن وطنيتهم المسلوبة داخل السجن وخارجه. وكذلك هو الحال بالنسبة للشاعر العذري "هدبة بن الخشرم" الذي ذاق مرارة السجن بكل أنواعه.

تطرقت في هذا البحث ألا وهو ظاهرة الشوق في شعر السجون هدبة بن الخشرم أنموذجا. حيث تناولت ضبط مصطلحات مثل:الظاهرة،الشوق وشعر السجون، كما تطرقت إلى حياة الأسير "هدبة بن الخشرم" والتي تمثلت في مولده، وخصومته مع زيادة–ابن عمه– ثم وفاته.

أما بالنسبة للموضوعات التي تناولها في سجنه فإنها دارت كلها حول الشكوى، حيث شكى السجن والسجان، كما اشتكى آلام القيد وحن إلى أهله وصحبه، كما ذاق آلام الغربة وشدة شوقه لزوجه.

✓ **الكلمات المفتاحية:**

- ظاهرة الشوق (الشوق إلى الأهل والأحباب).
- شعر السجون.
- هدبة بن الخشرم.
- المناحي النفسية والعاطفية لشعر السجون.

✓ **Résumé:**

La prison a constitué un véritable cauchemar pour les poétes de la nation arabe et les a poussée à produire une poésie dite de ‘prison’ pour exprimer leur nationalisme spolié à l’interieur des geoles.

Il en est de meme pour le poéte arabe ‘Hodba ben el khchrem’ qui a gouté à l’amartume de l’emprisionnement. Dans mon étude j’ai pris comme exemple le phénomène de nos nostalgie ou j’ai developpé le sens de quelque terme, j’ai passé en revue la vie de ‘Hodba ben el khchrem’.

Les themes abordés durant son emprisonnement ont tous tourné autour des complaintes : il s’est plaint des chaines, de la geole, du geolier, il s’est également plaint des prévalions. Il éprouve de lanostalgie pour sa famille, ses amis et sa femme. Il a vecu les offres de l’exil et de la nostalgie.

✓ **Mots clés :**

- Phénomène de la nostalgie pour sa famille et sa femme.
- Poèsie des prisons.
- ‘Hodba ben el khchrem’.
- Tendance psychologique et sentiment de la poèsie des prisons.

قائمةالمصادر والمراجع

قائمةالمصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص.

1) **المصادر:**

1. ديوان هدبة بن خشرم، يحيى الجبوري، دار القلم للنشر والتوزيع، ط2، الكويت، 1406هـ/1986م.

2) **المراجع:**

2. أحمد حسين صبوة، الغزل العذري في العصر الأموي، دار المعارف، ط3، القاهرة، (د.ت).
3. أحمد الصافي النجفي، ديوان 'حصاد السجن'، مكتبة المعارف (د.ط)، بيروت–لبنان، 1983م.
4. أحمد عبد الستار الجواري، الحب العذري نشأته وتطوره، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 2006م.
5. أحمد محمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، دار القلم، بيروت–لبنان، 1381هـ/1961م.
6. أحمد مختار البرزة، الأسر والسجن في شعر العرب (تاريخ ودراسة)، مؤسسة علوم القرآن، ط1، دمشق، 1975م.
7. التبريزي، المعروف بالخطيب، لاتا: ج2 ،شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، عالم الكتب (د ط)، بيروت (د ت).
8. جان كازونوف، سيكولوجية أسير الحرب، تر: عدنان سبيعي وخليل شطا، دار الطباعة والنشر، ط1، سوريا–دمشق، 1983م.
9. الجرجاني (علي بن محمد بن علي الشريف الحسيني)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار المعرفة (د.ط)، بيروت–لبنان، 1978م، ص361.
10. أبي جعفر محمد حبيب البغدادي، أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، تح : سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، (ط1)، بيروت–لبنان، 1422هـ–2001م.

11. جميل بثينة، الديوان، دار صادر، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
12. جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، 1969م.
13. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، (د.ط)، دار الجبل، بيروت–لبنان، (د.ت).
14. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج2، تح:محمد محي الدين، مطبعة السعادة، مصر، 1955م.
15. سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضةالعربية، ط1، بيروت–لبنان،1424هـ/2003م.
16. سامي مكي العاني، الإسلام والشعر، عالم المعرفة، (د.ط)، الكويت، 1996.
17. ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الإسلاميين، (د ط)، المطبعة المحمودية التجارية الكبرى–مصر، د.ت.
18. سمير فراح، شعراء قتلهم شعرهم،مكتبة مدبولي الصغير، (ط1)، 1417هـ–1997م.
19. شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، من امرؤ القيس إلى ابن أبي ربيعة، دار الملايين، ط5، بيروت، 1996.
20. شوقي ضيف، النقد (سلسلة فنون الأدب العربي–الفن التعليمي 1)، دار المعارف، ط2، القاهرة–مصر، (د.ت).
21. ، النقد (سلسلة فنون الأدب العربي–الفن التعليمي 1)، دار المعارف، ط1، القاهرة–مصر، (د.ت).
22. ، تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، منشورات ذوي القربى، ط2، 1427هـ .
23. طه حسين، حديث الأربعاء، ج1، دار المعارف، ط11، مصر، (د.ت).
24. عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري، دار جرير للنشر، أربد، ط1، (د.ت).

25. عبد القادر قط، في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1979م.
26. عبد اللطيف شرارة، فلسفة الحب عند العرب، دار مكتبة الحياة، (د.ط)، بيروت،(د.ت).
27. علي النجدي ناصف، القصة في الشعر العربي إلى أوائل القرن الثاني الهجري، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.
28. عنترة بن شداد، الديوان، شرح يوسف عيد، دار الجيل، (د.ط)، بيروت، 1422هـ/2001م.
29. أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، تصحيح الشيخ أحمد الشنقيطي، ج19 ،مطبعة التقدم، مصر(د ت) .
30. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، تح وشرح : أحمد بن شاكر، دار المعارف – 1119 كورنيش النيل– القاهرة– مصر، 1377هـ–1958م.
31. ، تأويل مشكل القرآن الكريم، شرح ونشر: السيد أحمد صقر، دار التراث، ط2، 1973م.
32. ابن قيم الجوزية (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تحقيق: محمد بن عزيز شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط1، 1431هـ.
33. محمد رضا مبارك، اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد– العراق، 1993م.
34. محمد هلال غنيمي، في النقد الأدبي الحديث، دار النهضة العربية، القاهرة، ط4، 1969م، ص442.
35. ابن نديم (محمد بن اسحاق الوراق)، طبع وتحقيق: رضا تجدد، (د ط)، طهران، 1350هـ.
36. نضال ابراهيم ياسين، العفة في الغزل العذري بين الحقيقة والوهم، مركز دراسات الخليج العربي، 1430هـ/2009م.

37. يوسف خليف، الحب المثالي عند العرب، تر: مطاع صفدي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، القاهرة، 1961م.

3) **المعاجم:**

38. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج1 عالم الكتب، ط1، القاهرة 2008.

39. جبران مسعود، الرائد،دار العلم للملايين،ط3، بيروت–لبنان–2005.

40. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت– لبنان، 1979م

41. الجرجاني (علي بن محمد بن علي الشريف الحسيني)، التعريفات، تح : محمد صديق المنشاوي، مادة [شوق]، دار الفضيلة(د.ط) مصر، 1324هـ.

42. علي بن الحسن الهنائي الأزدري، أبو الحسن، المنجد في اللغة، تح، أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، ج، عالم الكتب، ط2، القاهرة – مصر، 1988م.

43. ابن فارس (أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا)، مقاييس اللغة، ج4، تح:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،1939 هـ /1979 م.

44. مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغةوالأدب،مكتبة لبنان– بيروت، 1979م.

45. محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج1 ،دار الكتب العلمية، ط2 ،بيروت – لبنان، 1419هـ، 1999 م.

46. المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبةالشروق الدولية، ط 4، 1425هـ /2004 م.

47. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم)، لسان العرب، ج2، دار صادر، ط1، بيروت–لبنان،1990م.

4) **الرسائل:**

48. كنزة زرماط، الحنين في شعر أحمد شوقي قصيدة غربة وحنين- أنموذجا- ماستر-أدب حديث، سلاف بوحلابيس،قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب -تخصص أدب عربي حديث-، جامعة العربي بن مهيدي -أم البواقي، 2016م- 2017م.

5) **المجلات:**

49. رمضان رضائي، هدبة بن الخشرم، وقفة في حياته وشعره، التراث الأدبي-السنة الأولى- العدد الرابع، تاريخ الوصول: 1388/06/18هـ، تاريخ القبول: 1388/09/29هـ .

50. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحياة الإجتماعية في المدينة الإسلامية،مجلة عالم الفكر،العدد1، مجلد 11.

51. محمد زغينة، التناص في سجنيات مفدي زكريا، مجلة البحوث والدراسات، ع3، جوان 2006.

52. محمد صالح شريف عسكري ومرتضى زارع يرمي، شعر السجون في الأدب العراقي المعاصر (الأعمال الشعرية لحسن السيد نموذجا)، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية،العدد 01، تاريخ الوصول: 1434/12/07، تاريخ القبول: 1435/04/08، العراق،2013م-2014م/1335هـ-1434هـ.

53. نوال بن صالح،أبحاث في اللغة العربية والأدب الجزائري، هواجس البلاغة في أدب المحنة -مقاربة في نماذج من السيرة السجنية المغربية، مجلة المخبر، العدد 13، بسكرة، 2007م.

6)المقالات:

54. أحمد كريز، كيف يكون السجن مؤسسة أصلاح ؟،الأمن والحياة،العدد 203، حلب، ربيع الثاني 1420هـ.

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة ..... أ-ج

مدخل نظري: تحديد المصطلحات 6-24

تمهيد

أولا-تعريف الظاهرة..... 6-8

1) الظاهرة لغة واصطلاحا

ثانيا-مفهوم الشوق لغة واصطلاحا 9-12

1) لغة

2) اصطلاحا

ثالثا-مفهوم السجن.....13-14

1) لغة

2) اصطلاحا

مفهوم شعر السجون 15

رابعا-حياة هدبة بن خشرم وشعره.....16-24

1) اسمه ونسبه

2) الخصومة بينه وبين زيادة

3) وفاته 20

4) موضوعاته (مستمدة من ديوانه) 21-22

أ) الغزل

ب) الهجاء

ج) الفخر

د) الحكمة

هـ) الشيب

و) الوصف

5-شاعريته..... 23

الفصل الأول: موضوعات شعر السجون 27-52

أولا-مفهوم شعر السجون..... 27

ثانيا-تطور شعر السجون عبر العصور الأدبية..... 28

1) العصر الجاهلي..... 28-30

2) العصر الإسلامي والأموي..... 31-34

3) العصر العباسي..... 34-36

ثالثا-موضوعات أدب السجون 36-38

1) وصف المعاناة ومظاهرها 38

أ) وصف المعاناة ومظاهرها 39-40

ب) الخوف من الموت..... 40-42

ج) هموم السجن..... 42-45

د) الصبر والتوبة 45-48

2) الجوانب العاطفية..... 48

أ) الأمل واليأس 49-50

ب) الحنين والأشواق..... 50-52

الفصل الثاني: أثر الغزل العذري في ظاهرة الشوق عند الشاعر 55-81

أولا-مفهوم الغزل العذري ونشأته..... 55-60

1) العذرية لغة 60-61

2) العذرية اصطلاحا 61

3) الغزل البدوي العفيف 62
ثانيا–خصائص الغزل العذري 63–64
1–الإكتفاء بمحبوبة واحدة
2–وحدة الموضوع
3–بساطة المعاني والسهولة والوضوح
4–العفة والطهارة
5–الحزن والتشاؤم
6–غلبة روح الصدق على روح الشاعر العذري
7–سهولة الأسلوب ومباشرته
8–شيوخ الألفاظ والمعاني الإسلامية
ثالثا–موضوعات الغزل العذري بين الجاهلية والإسلام 65–66
أ) التغني بالصفات الحسية والمعنوية 65
ب) الطيف والخيال 65
رابعا–أثر الغزل العذري في شعر هدبة بن الخشرم 66–68
1) المعجم الشعري 68–71
طبيعة الألفاظ
مصادر الألفاظ
دلالة الألفاظ
أ) اللغة..... 71–74
ألفاظ البكاء والحسرة 72–73
ألفاظ الطبيعة..... 74
ب) الأسلوب 75–78
أسلوب التمني والرجاء

النهي والأمر

القسم

الإستفهام

التعجب

النداء

خامسا–أسلوب أدب السجون 78–81

1) بنية المقطعات 79

2) المطالع 80

3) الألفاظ والتراكيب 80

4) الصور 81

الفصل الثالث: تجليات ظاهرة الشوق في شعر هدبة بن الخشرم 84–106

تمهيد 84

أولا–الشوق إلى الزوجة 85–91

1) صورة المرأة 92

أ) صورة الأم 92

ب) صورة الزوجة 93

ج) صورة الأخت 93

ثانيا–الشوق إلى القبيلة 94–95

تمهيد 96

تجليات ظاهرة الشوق في شعر هدبة بن الخشرم العذري 96–100

1) الغربة والبعد 100–103

أ) غربة النفس التي يعانيها السجين

ب) البعد عن الأهل

ج) البعد عن الأصحاب

د) البعد عن الديار

خاتمة 105-106

ملخص.....107-108

قائمة المصادر والمراجع 110-114

تَم بحمد الله